

# منهاج السالك الحسيني

ويُليه :

رسالة للمسيحيين والعالم

الجزء الأول :

توصيات للمستمعين عامة



أمين السعيد

## فهرس العناوين

- العلة الداعية للابتداء بالمستمع ..... ٤
- أول التوصيات الضرورية: الغرض، أصله وحدوده وضوابطه: ..... ٤
- ١- ضرورة التفكير فيه وتحديدده ..... ٤
- ٢- تشخيصه ..... ٥
- ٣- توجيهه ..... ٥
- ٤- الإخلاص فيه ..... ٦
- هل للإخلاص حدود وتفاصيل يمكن معرفتها؟ ..... ٧
- بيان توضيحي وأمثلة عامة: ..... ٧
- أمثلة عامة على الاستماع الطالح لمجالس القراءة ..... ٩
- أمثلة عامة على الاستماع الصالح لمجالس القراءة ..... ٩
- إفادة عرفانية ..... ١٠
- ٥- السير والثبات على خط الغرض ..... ١١
- الذين خرجوا من مكة نموذجاً ..... ١١
- كيفية الضبط ..... ١٣
- ثاني التوصيات الضرورية: التزود ..... ١٥
- ثالث التوصيات الضرورية: اختيار الأفاضل واجتناب الشبهة ..... ١٧
- لمن نستمع؟ وهل نقصر على الحضور لجهة محدّدة من الخطباء والمحاضرين ؟.. ..... ١٧
- الوئاسة ..... ١٩
- أسر الذات لفئة وضرورة النقد العلمي ..... ١٩
- وجوه ومبدأ الأورعية ..... ٢١
- مصيّدتان شيطانيتان: ..... ٢٢
- المصيّدة الأولى (على صعيد مسار الشأن الحياتي) ..... ٢٢

المُصَيِّدَةُ الثَّانِيَّةُ (عَلَى الصَّعِيدِ الْمَعْرِفِيِّ وَالْعِلْمِيِّ) ..... ٢٤

الاسْتِمَاعُ خَلْفَ الشَّاشَةِ ..... ٢٥

• رَابِعُ التَّوَصِيَّاتِ الضَّرُورِيَّةِ: النُّظْمُ وَالسَّجَايَا وَالْمُمَارَسَاتُ الْمَعَاكِسَةُ ..... ٢٨

إِخْرَاجُ الطَّعَامِ خَارِجَ مَحْدُودِهِ ..... ٣٠

الْأَكْلُ وَالتَّعَلُّمُ مِنَ الْحَرَامِ وَتَخْوِينُ الْفَضَائِلِ ..... ٣١

حَادِثَةٌ مِنَ الْوَاقِعِ ذَاتُ مَوَاعِظٍ هَامَّةٍ ..... ٣١

• خَامِسُ التَّوَصِيَّاتِ الضَّرُورِيَّةِ: تَطْبِيقُ الْمَعْلُومِ ..... ٣٢

• سَادِسُ التَّوَصِيَّاتِ الضَّرُورِيَّةِ: النُّشْرُ وَعَدَمُ التَّوَقُّفِ عِنْدَ حَدِّ التَّطْبِيقِ الشَّخْصِيِّ ..... ٣٣

خَطَرُ خَفَى ..... ٣٤

• خَاتَمَةٌ ..... ٣٤

## توصيات للمستمعين عامة

### ● العلة الداعية للابتداء بالمستمع:

هي لأنَّ المستمع يشكّل علة وجود مجالس القراءة؛ إذ لا يمكن لنا أن نفترض لهذه المجالس تحقّقاً ونخيل لها وجوداً حال فقد هذا العنصر في تركيبها الوجودية؛ من هنا حقّ لنا أن نصف المستمعين بـ"رُكن مجالس القراءة"، بل العمّد المركزي لها. كما أنه الشريحة والساحة الكبرى التي تنصبّ عليه الآثار؛ ذلك لأنه -غالباً- هو المُنصّب عليه أغراض هذه المجالس ومشاريع رعاتها، سواء كانت أغراضهم ومشاريعهم صالحة ببناء أم طالحة هدامة، كل هذا فضلاً عن أن المستمع يمثل عادةً النواة الأولى للصياغة ويحتاج للتوجيه والانطلاق معه في تبصيره وتنشئته من المراحل الأولى ليقوم على أساسٍ متين ويُنجح المشاريع النبيلة بحضوره ويُفشل المشاريع الهدامة بحذره وعدم التواجد فيها تواجداً عفويّاً بلا هدفٍ وجيهٍ مقصود أو من خلال انقطاعه عنها انقطاعاً صحياً وإعياً، وإن كان غيره -كأصحاب المآتم والخطباء وغيرهما مما سيأتي في شؤونهم الكلام- معيّنين بالمباحثة والنظر أيضاً، سيّما وأن غالبيتهم داخله تحت عنوان المستمع؛ إذ مثلاً صاحب المجلس هو بلحاظ آخر كذلك مستمع؛ فهو يتصف بأمرين؛ بمالكه لمجلس القراءة وبكونه في ذات الوقت مستمعاً، سواء في نفس مجلسه أو في مجالس المؤمنين الآخرين ..

### فنتساءل أولاً:

ما هي التوصيات اللازم على المستمع اتّباعها في القراءات عموماً و محرم خصوصاً؟

وللجواب على ذلك لابد من معرفة مجموعة أمور ضرورية:

### ● أولها: الغرض:-

وفيه أتعرض لأصله وحدوده وضوابطه كما يلي:

#### ١- ضرورة التّفكّر في الغرض وتحديدّه:

بمعنى أن يتساءل الإنسان: ما هو غرضي من حضور هذه القراءات والاستماع للخطيب الفلاني والاجتماع مع الجماعة الفلانية ..؟ فالغرض هو نفس نيّتك المنعقدة عليها الحركة والمتولّدة عنها أفعالك؛ فعن الإمام السجاد عليه الصلاة والسلام قال: «لا عمَل إلا بِنِيّة»، وورد: «لا دين لمن لا نيّة له».

وينبغي العلم بأن تحديد الغرض ليتحقق يحتاج للصدق مع النفس والتّفكّر جيّداً كي لا يشذ عن الذهن شيء من النوايا البينيّة الخفيّة؛ فإن كثيراً من الأغراض -صحيّة كانت أم عليّة- تضيع في لَوثة النفس وتنغمس في جُبّ البصيرة وتغيب في ظلمات القلب وبطون الذات، فلا تتكشف للإنسان إلا بالتأمل الخالص والتدقيق العميق والتدبّر.



## ٢- تشخيص الغرض:

فبعد أن حددت الغرض من حضورك مجالس القراءة .. عليك أن تقيس غرضك من حيث الصِّحة والبطلان؛ هل هو غرضٌ محمودٌ عند العقلاء أم مذموم؟ وهل هو صحيحٌ شرعاً أم فاسد؟

فإنَّ تحديد النَّيَّةِ شيءٌ، وتشخيصها شيءٌ آخر؛ فالتحديد رُبَّةٌ أُولَى للسالكِ بمثابة النُّطاق لِنُشوء التشخيص، تماماً كما أنَّ تسليط المصباح في الظُّلْمَةِ نحو جهةٍ ما مقدِّمة لرؤيتها وتحديد صفاتها.

وينبغي الالتفات إلى أن تشخيص الغرض ليتحقق يَحْتَاجُ لِلْعِلْمِ الكافي لإبصار خصائصه، الكفيل بتمكين الإنسان من تعيين صحته وفساده؛ فحيازة الغايات العقلية وإصابة المُرادات الشرعية كيف تحصل دون علم؟

إنَّ الله عز وجل أودع في الإنسان العقل الذي يَمَكِّنُه -مَبْدئياً- من تشخيص الحُسْنِ والقُبْحِ والصواب والخطأ والعلم بهما والعمل على طِبْقِ الحَسَنِ واجتناب القبيح، ثم الإنسان يَسْتَكْثِرُ من الْعِلْمِ بالاستماع إلى الخطيب والعالم والحضور لمجالس المَعْرِفَةِ والمطالعات والمباحثات ..؛ لذا يجد المكلَّفون أول فتوى تَوَجَّهَ لهم في الرسائل العملية هي الفتوى الكَلْبِيَّةُ القائلة: (يجب على كل مكلَّف إحراز العلم بالمسائل التي في مَعْرِضِ ابتلائه)؛ لماذا؟

لأنه لا يتمكَّن من امتثال أوامر الله تعالى وطاعته واجتناب نواهيه إلا بالعلم بماذا يريد، وإلا فإنَّ طاعة أي شخصٍ لآخر لا تحصل مع الجهل بما يريد، سيِّما إذا كان الشخص المراد طاعته يَضَعُ مراداته بحكمة متناهية ومَعْرِفَةٍ عميقة غائبة عن فهم الإنسان وإدراكه الأوَّلي البسيط؛ لذا لا إيمان إلا بعِلْمٍ وبفقه. وكلما كنتَ أهل فكرة متفكراً أكثر معتبراً؛ كلما أصبحتَ أَبْصَرَ وأفْهَمَ وأكثر تَعَلُّماً، وكلما كنتَ عالماً أكثر عارفاً بأحكام الله سبحانه وأسرار النفس وخفايا الوجود وفنون الحياة ومسَلْطاً على التعامل مع ذلك؛ كلما كنتَ الْأَسَيسَ والأقْدَر على تحديد نواياك وتشخيص أغراضك والسير نحو النور والسلوك نحو الفلاح المادى والمعنوى؛ يقول سيد البُلْغَاء بعد نبينا العظيم عليهما الصلاة والسلام:

«مَنْ اعْتَبَرَ أَبْصَرَ وَمَنْ أَبْصَرَ فَهَمَّ وَمَنْ فَهَمَّ عِلِمٌ»<sup>١</sup>، وروى الشيخ المَعْظَمُ الكليني عن مُحَمَّد بن يحيى عن أحمد بن محمد بن عيسى عن علي بن الحكم عن أبي عبد الله المؤمن عن جابر قال: دَخَلْتُ على أبي جعفر عليه السلام فقال: «يا جابر، الآخرة دار قَرَار والدنيا دار فَنَاءٍ وَزَوَالٍ ولكنَّ أهل الدنيا أهل غَفْلَةٍ وكأَنَّ المؤمنين هُمُ الفقهاء أهل فكرة وعبرة لم يصمَّهم عن ذكر الله جَلَّ اسمه ما سمعوا بأذانهم ولم يعمِّهم عن ذكر الله ما رأوا من الزينة بأعينهم ففازوا بثواب الآخرة كما فازوا بذلك الْعِلْمُ»<sup>٢</sup>.

## ٣- توجيه الغرض:

وأعني به القيادة؛ فالإنسان يستطيع -متى أراد- أن يَقودَ غَرَضَهُ نحو أي نِيَّةٍ يُعَيِّنُها، مهما كان فِعْله، صغيراً أم كبيراً، عظيماً أم حقيراً؛ فالنِّيَّةُ أيها المُدْرِكُ مِلْكُك الذي لا يشارِكُ فيه أحد وأنت سُلْطَانُهُ الْأَوْحَدُ.

واعلم أنه في ساحة الأغراض والنوايا لا يوجَدُ عند الله تعالى -من حيث الْعِظَمِ والصَّغَرِ- صفة ثابتة لها؛ إذ قد يكون غرضٌ ما صغيراً في ظرفٍ ما، عظيماً في ظرفٍ آخر، كما أنَّ كل شيءٍ عنده عز وجل ذو قيمة، وما يكون ذا قيمةٍ عند الحكيم فهو عظيمٌ لا ينبغي الزهد فيه والتساهل بعوائده ونوائله واسترخاض فوائده وفضائله.

<sup>١</sup> نهج البلاغة، صبحي صالح: ص ٥٠٦ ح ٢٠٨.  
<sup>٢</sup> الكافي، الشيخ الكليني: ج ٢ ص ١٣٣.

إِذَا هَذَا الْغَرَضُ -هذه النِّية- أنت من توجهه في كل الأحوال؛ لذا جاء في الخبر: «ولتكن لك في كل شيء نية حتى في النوم والأكل»؛ فأنت عليك إِذَا أَنْ تَوَجَّهَ نَيْتُكَ في كل حركةٍ تتحركها وعملٍ تأتي به، حتى في النوم والأكل، أنت وَجَّهَ نَيْتِكَ واجعلها صالحة، استثمارها، وَجَّهَها نحو الله؛ قُلْ: إلهي، أنا الآن أنام لِأَتَقَوَّ على خدمة عيالي أو خدمة المسلمين أو خدمة الناس أو لِأَتَقَوَّ على الرزق بكدي وعدم الحاجة للآخرين ... وإذا أَكَلْتَ طعاماً فَوَجَّهَ نَيْتَكَ واجعلها في طريق الله تعالى لِتَحْصِدَ أجرها العظيم ..

وينبغي العلم بأنَّ توجيه الغرض لِيتحقق يحتاج لِتَوَجُّهِ نَفْسٍ، وعزيمة وافية باستذكار النِّية واستحضار الإرادات المتعاقبة منها على الأفعال باستمرارٍ دائمٍ، وإلا كيف يَنْعَقِدُ توجيه النِّية نحو الغرض الصحيح باسترسالٍ والممارسة عشوائياً بإصدار الفعل عفوياً كيفما اتَّفَقَ؟ وهو -أعني استذكار الإرادات باستمرارٍ وقيادتها- أمرٌ ليس بالعسير؛ فالنفسُ جِبِلُّهَا الطَّبْعُ، فما أَنْ يَقَعَ تمريسها على أمرٍ إلا صار سَجِيَّةً في صميم الحركة الصادرة عنها المرتبطة بأحواله وظروفه المتطابقة المتماثلة والمتشابهة.

#### ٤- الإخلاص في الغرض:

إِنَّ الإنسان قد يحدِّد الغرض، وَيُشَخِّصُهُ، وَيُوجَّهُهُ أيضاً، لكنه مع ذلك لا يجعله خالصاً صافياً عن الشوائب والكدورات الْمُعَكَّرَةِ لخلوصه ونقاؤه وتمايمته وكَمَالِهِ، وهذا النقص يكون في كثير من الأمور نقصاً خطيراً، وَيَقْوُتُ جهة الصلاح لحساب جهة البُطلان والفساد؛ تماماً كالأمور الأخلاقية والعبادية؛ فَإِنَّ الذي مثلاً يَحْضُرُ مجالس الاستماع والذكر لِأجل التعلُّم وفي نفس الوقت لِأجل الرياء؛ يَكُونُ قُضِيَ بجزء نِيَّتِهِ الفاسد -الرياء- على جزء نِيَّتِهِ الصالح -التعلم-؛ إِذْ تَتَفَوَّقُ النِّية الإنسانية بصفة ذاتية تجعل من المَقاصِد دائماً مُستهلَكة فيها لجهة البُطلان متى وُجِدَ مختلطاً مع الصَّلاح، فهي كالقضايا العقلية المنطقية نتائجها الخاطئة تتبع أَحْسَنَ المَقَدِّمات.

والسر في ذلك؛ لِأَنَّ هذا الجزء من الصَّلاح هو في ظاهره الشكلي متصف بالحُسن، لكنه في حقيقته بالدُّقَّة ليس كذلك؛ فالذي يقول (أَسْتَمِعُ لِأجل أَنْ أَتَعَلَّمَ وَلِأجل أَنْ أَرَأَى) فَإِنَّ الاستماع هنا بمفرده هو فِعْلٌ نفسى جوارحي فحسب، مثله مثل الآلة، والتعلُّم فِعْلٌ نفسى ناتج في العقل وهو حصول العلم بعد إعمال آلة السمع والاستماع، والرياء فِعْلٌ نفسى ناتج في العقل مترافق مع السمع من أول لحظة ينو في الرياء وَيَنْعَقِدُ عليه حُبُّ القلب، لا أَنْ الرياء سَيَنْتِجُ بعد الاستماع كالتعلُّم؛ فَلَمَّا كَانَ الرياء أَسْبَقَ كان هو المرتكز عليه العمل والعمل تابعٌ له ككل؛ لذا لم يَتَقَبَّلِ الله منه شيئاً؛ إِذْ لا جهة صلاح حقيقية في هذا الاستماع كما يوهم بادئاً.

والرياء -مثلاً- في حقيقته هنا لم يقع على الاستماع حتى يَكُونُ التعلُّم جزءاً من نية الاستماع والرياء جزءاً آخر من نية الاستماع، وإنما الرياء واقعٌ على التعلم نفسه؛ ذلك لِأَنَّ الاستماع والتعلم مركَّبٌ طَوَلِيٌّ مُتَّحِدٌ ناتجٌ عن فعلٍ واحد هو الاستماع نفسه، والرياء ليس نتيجة للاستماع وإنما الاستماع نتيجة للرياء وإن ترافقا كما أوضحت؛ فهو لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَرَأَى ذَهَبَ للاستماع لِمْجَالِسِ الذِّكْرِ والتَّعْلِيمِ.

والتعلُّم لا يَقُومُ على الرياء وحده؛ ذلك لِأَنَّ التعلم لا يتحقق هنا بدون الاستماع، والاستماع كمجرَّد فعلٍ فارغ لا يُمْكِنُ أَنْ يُنَوَّى للرياء؛ إِذْ لا يُمْكِنُ أَنْ تَقُولَ أَنَا أَسْتَمِعُ مَجَرَّدَ سَمْعٍ فارغٍ لِأَرَأَى دون أى غرضٍ ناتجٍ عن الاستماع واقع عليه الرياء، كما أنك لا تقول أَرَأَى لِأَتَعَلَّمَ بالاستماع، ولا تقول أَرَأَى لِأَسْتَمِعَ بالتعلم، ولا تقول أَسْتَمِعُ لِأَتَعَلَّمَ بالرياء، ولا تقول أَتَعَلَّمَ لِأَرَأَى بالاستماع بسمعي، ولا تقول أَتَعَلَّمَ لِأَسْتَمِعَ بالرياء، وإنما تقول أَسْتَمِعُ لِأَرَأَى بالتعلم؛ فالرياء دائماً متصدِّرٌ؛ وبعبارة موجزة: يَصِيرُ الرياء قاعداً قام عليها الاستماع وتَوَلَّدَ عن الاستماع التعلم؛ وما بُنِيَ على باطل فهو باطل.

فالإخلاص إِذَا أَمُرُ لَزِمَ للعبادات، وقد روى عن الإمام على عليه الصلاة والسلام أنه قال: «الإخلاصُ غاية الدين»؛ أى هدفه؛ بالتالى فَإِنَّ الإخلاص محيطٌ مُتَّسِعٌ شُروعاً وامتداداً وانتهاءً؛ فهو المبتدأ به في العمل وهو الجوهر طوال خط النِّية وهو المنتهى

المراد بلوغه، وهذا البلوغ هو الرُّشد التام للإنسان المجتهد العامل والمتكامل في نهاية المَطاف والتمثُّل في سِرِّ الله سبحانه؛ لذا قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «بالإخلاص تتفاضل مراتبُ المؤمنين» وقال تعالى في القدسي: «الإخلاص سِرٌّ من أسرارِي، استودعته قلبَ من أحببْتُ من عبادِي»، ومادام الاستماع لمَجالس القراءة عبادة؛ لَزِم تحقيق الإخلاص له وفيه ومنه.

واعلمَ أيها العزيز أنَّ الإخلاص يَحْتَاج لَطَافَةً لُبِّ وَلَطَافَةً فِكْرٍ، كما يَحْتَاج لِلتَّدْبِير لمعرفة ماهيَّته، وما هي حدوده، وكيف يجب أن يَكُون. وتحقيقه على وجهه التام يَتَطَلَّب مَفَارَقَةَ الأَطْمَاع، ومَفَارَقَةَ الأَطْمَاع تَحْصُلُ بِالاعتبار بالله تعالى وحده ومعرفة شأن وقدر إلهك الذي تَتعامل معه وشأن وقدر المخلوقين الذين ليسوا إلا صَنَائِعُ ضَعِيفَةٌ صَنَعَهَا ذَلِكَ الإله العظيم مالِك كلِّ العوالم العُلُويَّة والسُّفُلِيَّة فلا ترجو أحداً دُونَهُ أو معه إذ لا مُحَقِّقٌ غيره لشيءٍ في مَحْضَر جبروته ومالكيَّته وعظَمته.

يقول أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام: «مَنْ اعتَبَرَ بِغَيْرِ الدُّنْيَا قَلَبَتْ مِنْهُ الأَطْمَاعُ»<sup>٢</sup>.

ويقول إمامنا الحسين سلام الله عليه: «العَاقِلُ لا يَرْجُو مَنْ لا يُوَثِّقُ بِهِ»<sup>٣</sup>، وفي اختصاص الشيخ المفيد قَدَّسَ اللهُ سِرَّهُ رَوَى أَنَّهُ سَأَلَ الإمام الحسين عن خير الدنيا والآخرة، فَكَتَبَ عليه السلام: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ. أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّهُ مَنْ طَلَبَ رِضَى اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ أُمُورَ النَّاسِ، وَمَنْ طَلَبَ رِضَى النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَّهَ اللهُ إِلَى النَّاسِ، وَالسَّلَامُ»<sup>٤</sup>.

فيا أيها العزيز! لا تَفْرَحْ بعبادتك الهوى والتقرب للمخلوق وإشابة نيتك ما لا إخلاص فيه، فإمامك الحسين عليه الصلاة والسلام يقول: «ولا تَفْرَحْ إِلَّا بِمَا نِلْتَ مِنْ طَاعَةِ اللهِ تَعَالَى»<sup>٥</sup>.

### هل للإخلاص حدود وتفاصيل يمكن معرفتها؟

هنالك حدود مهمة للإخلاص، وحدودُها تَخْتَلِفُ مِنْ عَمَلٍ لآخر، فَيَحْتَاجُ كَثِيرٌ مِنْنا لمعرفةِها؛ إذ تشبَّه الأحوال في هذه الأمور على كثير من المؤمنين؛ لذا أُنْعَزَّضُ لأهمها مما يَشِيعُ منها في أغلب النفوس وتَوَجَّبَ حيرة لدى السالِكِ وطالبِ الخلوص مِنَ المَهَالِكِ، سَيِّما وأن الإخلاص عدوُّ الشيطان الأكبر ومعركته اللدود؛ وذلك ما يلي:

### بيان توضيحي وأمثلة عامة:

فمثلاً في الصلاة يَبْحَثُ الفقهاء -أعلى الله مقاماتهم- حول أداء صلاة واجبة مع صَمِّ نِيَّةِ التعليم لشخص؛ فَيَسْتَشْكِلُ بعضهم مُفْتِياً ببطان الصلاة ووجوب إعادتها، فَهُمُ رَغِمَ أَنْ التَّعْلِيمَ هُنَا لِفِرْعٍ مِنْ فُرُوعِ الدِّينِ العَظْمِيِّ ومقصود لوجه الله تعالى إلا أَنَّ صَلَاتَهُ عَنْدهم باطلة؛ فالقاصِدُ يَنَالُ ثَوَابَ التَّعْلِيمِ وَثَوَابُهُ جَسِيمٌ عَظِيمٌ وَلَكِنَّهُ مِنْ حَيْثُ خُصُوصُ سَقُوطِ الصَّلَاةِ الْوَاجِبَةِ عَنْ ذِمَّتِهِ فَلَا.

وَيَبْحَثُونَ مثلاً في التلَفُظِ بلفظِ صَلَاتِي -مستحباً كان أم واجباً- أثناء الصلاة؛ فلو كَبَّرَ الْمُصَلِّي تَكْبِيراً فِي مَحَلِّهِ وَلَكِنْ مَعَ غَرَضٍ آخَرَ مُنْضَمٍّ إِلَى غَرَضِهِ الْأَصْلِيِّ الذي هو أداء الصلاة الواجبة؛ كَأَن كَبَّرَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ أَرَادَ بِهَذَا التَّكْبِيرِ أَنْ يَرُدَّ عَلَى نِدَاءٍ عَارِضٍ لِشَخْصٍ يناديه، سواء كان ذلك التَّكْبِيرُ واجباً كَتَكْبِيرَةِ الإِحْرَامِ أو مستحباً كالتَّكْبِيرِ الذي يَسْبِقُ رُكُوعَ الْفَرِيضَةِ أو يسبق سجود الفريضة...؛ فَإِنَّ الْبَعْضَ يَفْتِي بِبُطْلَانِ الصَّلَاةِ كَوْنِهَا اشْتَمَلَتْ عَلَى نِيَّةٍ أُخْرَى غَيْرِ نِيَّةِ أَدَاءِ الْقَرَضِ الْوَاجِبِ لِلَّهِ تَعَالَى الْمَطْلُوبَةِ أَلْفَاظِهِ بِنَحْوِ

<sup>٢</sup> غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٢.

<sup>٤</sup> ربحانة الرسول: ص ٥٥.

<sup>٥</sup> الاختصاص، للشيخ المفيد: ص ٢٢٥ - معادن الحكمة: ج ٢ ص ٤٥ ح ١٠٢.

أسرار الحكماء، لياقوت المستعصمي: ص ٩٠.



مستقل مُفرغ تماماً عن أى ضَميمة أخرى مِن هذا القَبيل حتى لو كانت هذه الضَميمة بقصد إلفات الحاضر لشخص سَيغرق، فأن تنقذ الغريق بها شيء، وأن تؤدي ألفاظ الصلاة بلا ضَميمة أخرى شيء آخر، فذاك التلفظ لإنقاذ الغريق يجعل اللفظ عُرفاً كالكلام البَشري الخارج عن كلام الصلاة وهيئتها.

كما أنه مثلاً وردت أيضاً روايات تحدد مستثنىة جوابك نداء الوالدين أثناء صلاة النافلة بكيفية معينة ..؛ فيكون ذلك تقييداً من جهة الشرع غير مبطل للصلاة. بينما لو صَلَّى بقصد أداء الصلاة ثم وهو يصلى نَظراً عامداً لعورة مُحَرَّمة؛ فصلاته من حيث الصَّحة شرعاً صحيحة لا تبطل؛ كون ذلك العارض المحرَّم غير دخيل في نيَّته للصلاة ولم يعتبره الشرع بعنوان آخر منافياً لها؛ أما هل يقبلها الله أم لا؟ فهذا شأن يرتبط به سبحانه، وهو بخلاف ما لو كان أصل صلاته قائماً على نيَّة أنه يصلى لأجل أن ينظر للحرام؛ فالصلاة باطلة ولا تُقبل. وامتداد نيَّة الصوم من طلوع الفجر إلى الغروب، لو تحلَّل بينها لحظة -ولو ثانية- نوى فيها عدم الصيام أو تَرَدَّد -لا التردد الذى هو مجرد خُطور في الذهن، وإنما التردد المُقر به المستوطن في القلب المَمضى من المتردَّد فعلاً-؛ فإن الصوم يبطل، بخلاف ما لو نوى أثناء الصلاة أن يقطع صلاته أو تَرَدَّد تردداً واقعياً في إتمامها؛ فلو رَجَعَ لنيَّته وأتمَّ الصلاة؛ فصلاته صحيحة مادام لم يتخلل تلك الفترة -فترة نيَّة الانقطاع أو فترة التردد الواقعي- مُفسِد للصلاة من قبيل وقوع فترة فاصلة طويلة تُخرجه عُرفياً عن كونه في حالة صلاة ومن قبيل أن يتكلم في تلك الفترة كلاماً خارجاً عن الصلاة حتى لو كان ذِكراً لله حيث أنه حسب الفرض أوفَّعه في فترة متخللة غير منوَّية لأداء نفس الصلاة.

ومن ثَمَّ، إذا جئنا لحدود الإخلاص في غرض الاستماع لمجالس القراءة؛ فهو وإن كان أكثر مرونة من حدِّه المطلوب مثلاً في الصلاة باعتبار أن أفعال الصلاة مخصوصة بكيفية مُعَيَّنة، بينما الاستماع فهو باعتباره فعلاً من الأفعال التكوينية والجوارحية؛ بالتالي يلزم حركة الإنسان ويتشارك في الأمور العبادية المطلوب فيها تحقيق نيَّة القُربى لله والأمور الغير عبادية التي لا يُطلَب فيها النيَّة بنحو الوجوب؛ لذا يلزم أن نَعْنُونَ الإخلاص في غرض الاستماع بحدِّه المانع من خروجه عن مرضاة الله عز وجل.

وبإيضاح أجلى: إنَّ الاستماع الغير تعبدى مَثيل الشخص الذى يَغسل ثوباً نجساً بدون نيَّة التطهير، فلو كان على سبيل المثال عالماً بنجاسته بمقدار من الدم ناسياً لها فألقاه في النهر دون أن يدري أو ألقاه فيه شخصٌ مُدْرِك لا عِلْم له بنجاسته أو رماه في بئرٍ مُعَصِّمة طِفْل لا إدراك له أو كان مرتدياً له أو ممسكاً به فسقط به في النهر وهو نائم أو ما شئت فعبّر، فلَمَّا رَفَعَه من الماء وَجَد أثر الدَّم قد زال؛ حَصَلَ التطهير للثوب؛ فإن الطهارة تتحقَّق للثوب رغم أنَّ الفاعل لم ينوِ أصلاً تطهيره؛ وما ذلك إلا لأنَّ التطهير لا تجب فيه نيَّة القُربى لله؛ فهو يحَصَل على أى حال؛ نعم لو غسله عن قصد وهو ناوٍ تطهيره لله تعالى انعقدت له النيَّة؛ والثمرة الفارقة بين هاتين الحالتين تكون في أنه في الصورة الأولى لا يَسْتَحِق ثواباً؛ أما في الصورة الثانية فببركة توجيهه نيَّته واستثماره لها نال الثواب والتقرب له عز وجل بابتغائه وجهه سبحانه، وهذا بخلاف ما تُطلَب فيه النيَّة شرعاً؛ فإنه لا يَتَحَقَّق امتثال أمره بدونها لكونها رُكناً فيه، والشىء بلا رُكنه منهديم؛ وإلا لو كان يقوم به وبدونه لَمَّا صَحَّ أن يُطلَق عليه مسمى رُكن؛ وهذا تماماً كلزوم أن يَسْتَمِع المُصلى يوم الجُمعة لخطبة النبى أو الإمام أو نائبه فيما لو بَلَّغنا وجوب الاستماع.

بالتالى؛ يمكن لنا القول:

- ١- في الأمور المنطقية العُقلائية والعُرفية المتروكة من الشرع لتحديدتهما، متى كان الغرض الصحيح مخلوطاً مُساقاً بنفسه للغرض الفاسد بحيث يَكُون مَطِيَّةً له؛ بطل العمل ككل، ٢- ومتى كان الغرض الصحيح قائماً بذاته فأُدْجِل إلى جانبه غرضٌ فاسد لا أنه جُعِل ذاك مَطِيَّةً لهذا؛ فالغرض الصحيح يَبْقَى صحيحاً والفاقد يَبْقَى فاسداً. ٣- في الأمور التي تصدَّ الشارع المقدَّس لجعل حدود خاصة لها، متى قَيَّد الشرعُ عملاً خاصاً بقيدٍ شرعى خاص أو رَفَعَ عنه قيداً من القيود العرفية؛ وَجَب التوقف عند حدِّه والأداء على طَبَقِهِ. ٤- يَبْقَى القبول والنَّماء في كُلِّ صحيح بيد الله عز وجل؛ إما أن يَتَقَبَّلَه بقبوله الحَسَن ويُنَمِّيهِ أو يقبله ولا ينمِّيهِ أو لا يقبله ويُنَمِّيهِ أو لا يقبله ولا ينمِّيهِ. ف ١- كالاستماع لأجل التعلم المقصود للاستغلال، و ٢- كالاستماع المقصود للتعلم والمقصود في نفس الوقت للسرقة أو المقصود في آن من آثاته للكذب، و ٣- كالتكبير -المتقدِّم- في الصلاة إجابةً لنداء الوالدين احتراماً وتوقيراً.



### أمثلة واقعية على الاستماع الطالح لمجالس القراءة:

وأما من حيث الواقع العملي الحاصل والحالات المتوافرة بيننا؛ فإنه مثلاً إذا وُجد شخص قد قرّن استماعه بمجلس فلان فقط لأن الخطيب من أقاربه يَخُصُّ النظر عن أى مُسَوِّغٍ شرعياً مطلوبٍ وحَسَنٍ، مع أنه يَعْلَمُ بأن قريبه هذا مُعَيَّنٌ للظُّلْمَةِ أو يَتَكَلَّمُ فى العِلْمِ بغير عِلْمٍ متَجَرِّباً على الله ورسوله أو يُحَرِّفُ المَبَادِئَ مَبْتَغِياً إرضاء الأترياء أو ذوى الجاه وأصحاب المنازل المادية والمناصب للخطوة عندهم والفوز بنوائلهم وتقديمه للقراءة عندهم؛ فإن هذا الحضور لذلك المجلس حرامٌ وفاعله مأثومٌ أشد الإثم وهو حتماً من أعداء الله ومحاربيه.

أو لو وُجد آخر قد عقد حضوره بالمجلس أو المسجد لأجل أنه إذا ذهب فيما بعد إلى جلسائه وتَجَمُّع أَقْرانه من الأصحاب أو الأقارب يُباهيهم بما سَمِعَ ويتفاخر عليهم بذلك الحضور قائلاً: أنا أحضر عند فلان وأستمع لفلان وأصلى خلف فلان!

أو لو حصل لشخص نيّة معلّقة على حضور مجلس حسب تواجد مستمع آخر معجب بصورته يُحبّه محبة غير عفيفة ويريد أن يتواجد فى مكان تواجده جاعلاً من استماعه سبباً ووسيلة لبلوغ مقصده الشنيع الذميم هذا.

أو حَصَرَ مستمعاً ليحارب الجماعة المؤمنة الأخرى التى يَخْتَلِفُ معها فى القناعات، أو لِيُسَجِّلَ مَوْقِفاً بالتَّصَيّدِ على خطيبٍ ما أو أصحاب مجلسٍ ما مَبْتَغِياً تسقيط هؤلاء المؤمنين والخطأ من أقدارهم، أو لِيُؤَهِّنَهُ منافسةً وحسداً منه له، أو ليحقق لنفسه الرئاسة المذمومة على أرحامه وقرباته أو على أئ من المشاركين، أو لِيَتَمَثَّلَ للمؤمنين تَمَثُّلَ الصالح النقى ليكسب أصواتهم فى سباقٍ انتخابي، أو لِيَتَعَرَّفَ على الناشئة والمثقفين مستهدفاً بث سمومه وانحرافاتة لاحقاً بينهم وتجنيدهم لأفكاره وترويج قناته وإعلامه البائس، أو لِيَدُكَّ على القلوب بالبغضاء والوشاية، أو لأجل أن يَسْخَرِ على أَقْرانه وَيَسْتَهْزِءَ بأحوال الناس والعابرين، أو لِيَنْظُرَ للنساء نظرة الشهوة والرّيبة باسطاً شراكه يَتَصَيّدُ عورات الناس وحرّماتهم مُوطِئاً نفسه على الظُّفْرِ بعلاقة مع امرأةٍ منهم، أو لِيَسْتَعْرِضَ جَماله وأناقته متأنثاً كالفتيات، أو آخر يريد العزاء فى الموكب الفلانى والمكان الفلانى ليبرز مظهرًا يتلذذ به نفسياً أو لِيَسْتَعْرِضَ هَيَّجَانِ عزائه للمتربّصات أو لِيَسْتَعْرِضَ عضلاته وقوّته واستعداده للمشكلات مع المارة، أو لتتغزل مع صاحبها بالصّبية أو لتستعرض مفاتيحها وأناقته أمام الناظرين أو المعرّين قد نَصَبَتْ أغراضها الماجنة وأتبعَتْ لهوات الفجور وأطاعتْ نَزواتها المائعة ..

فهذه كلّها والعياذ بالله حالات باطلة؛ وبطلانها لا لأن الاستماع فيها للمجلس محرّم بذاته، وإنما لأن الاستماع فيها عُجِنَ بقصدٍ وفعلٍ محرّم، فكيف يَفْعَلُها المؤمن والإمام الحسين عليه الصلاة والسلام خَرَجَ ليحاربها! فلا تَكُنْ أيها الموالى فى عِدَادِ أعداء الإمام الحسين من حيث لا تدري، فهو صلوات الله وسلامه عليه القائل: «انْقُوا هذه الأهواء التى جَمَاعُها الضلالة وميعادها النار»<sup>٧</sup>.

### أمثلة على الاستماع الصالح لمجالس القراءة:

أما لو مثلاً كان عَرَضَ المستمع مُنْضَماً للتعليم فى ذات الوقت أن يراه المؤمنون حاضراً بينهم لا بعنوان الرياء، وإنما بعنوان إيمانية هذا الشعور الفاضل من عمق السُّرور بحُشْرِ الذات بين هؤلاء الطيبين المحبوبين عند الله تعالى وحسابهم له منهم؛ فهذا الغرض نبيلٌ شريف لا يُخِلُّ بخلوص النيّة.

وكذا ما لو حَصَرَ وقد خَلَطَ نيّته بقصد تشجيع صديقه الخطيب المبتدئ، أو صاحبه صاحب المآتم، أو زميله الشاعر، أو دَعَمَ الخطيب الفلانى الصالح وتكثير سواد الحضور بين يديه، أو استجابة لدعوة مؤمن، أو بقصد أن يحضر مجلس أستاذه توقيراً له وأداءً لحقه صلّة منه به تقديراً لعطائه إياه وأتباعه فى نشأته وتدريبه وتربيته، أو بقصد أن يدفع التهمة عن نفسه وإساءة البعض باتهامهم له بغضه ومُجافاته لهم أو خُلُوهُ عن مُزاورة مجالس الدُّكر والإيمان، أو لأجل أن يَتَبَرَّكَ من مائدة فلان المؤمن

بالأكل من زاده الطاهر ورزقه المبارك، أو ليجود على شخص يتواجد في ذلك المكان، أو ليتصيد لنفسه رزقاً حلالاً من المقتدر الفلاني، أو ليتعلم ويربّي أولاده على حضور هذه المجالس، أو للعفو عن إنسان يجد الفرصة الأمثل في هذه الظروف الروحية والتهذيبية، أو لوصل رحم صالح أو لإصلاحه، أو لوصل قاطع، أو لتفيس كربة جار .. فهذه الأغراض وإن اختلطت بالغاية الأصلية فليست مذمومة ولا مفسدة للإخلاص المطلوب، بل إنها تمثل تكاليف وأغراض عقلانية وشرعية قائمة بذاتها وتضاف قيمتها الإنسانية وأجورها الإلهية إلى قيمة الغرض الأصل، بل وحتى لو فقد الغرض الأصل معها وتصدّرت بنفسها الغرض والمقصّد، إنّ هذه الغايات كلها أهداف لسيد الأحرار صلوات الله وسلامه عليه وسجاياه ومعروفه؛ فهو العامل والقائل:

«اعلموا أنّ المعروف يُكسِبُ حمداً، ويعقُبُ أجراً، فلو رأيتم المعروف رجلاً لرأيتموه حسناً جميلاً يسرُّ الناظرين، ولو رأيتم اللؤم رجلاً لرأيتموه قبيحاً تنفر منه القلوب وتغض عنه الأبصار. إنّ أجودَ الناس مَنْ أعطى مَنْ لا يرجوه، وأعفى الناس مَنْ عفا عن قدرة، وإنَّ أَوْصلَ الناس مَنْ وصل مَنْ قطع. ومَنْ أراد بالصَّنِيعَةِ إلى أخيه وجهَ الله تعالى كافاه الله بها في وقت حاجته وصرف عنه من البلاء أكثرَ من ذلك، ومَنْ نفَسَ على أخيه كُربَةً مِنْ كُربِ الدنيا نفَسَ اللهُ عنه كُربَةً مِنْ كُربِ الآخرة، ومَنْ أَحَسَّنَ اللهُ إِلَيْهِ، واللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ»<sup>١</sup>.

#### إفادة عرفانية:

عرّف العرفاء الإخلاص؛ فقالوا: هو تجريد القصد عن الشوائب كلها. وقالوا: هو تفرغ النية -أو الدافع نحو العمل- من كلّ شوبٍ إلا الله. وعرفوه بأنه: أفراد الحق تعالى خاصة في الطاعة بالقصد، والتقرب إليه بذلك خاصة، من غير رياء ومن غير أن يمازجه شيء آخر من تصنعٍ لمخلوق أو اكتسابٍ محمّدية بين الناس أو محبةٍ مدحٍ أو معنى من المعاني. وعرفوه بأنه: تطبيق إرادة العبد على إرادة الله؛ أي أن يكون المخلص ناظراً في كل سعى إلى الإرادة الإلهية ويتبعها. وعرفوا الإرادة فقالوا: هي جمرٌ من نار المحبة في القلب مقتضية لإجابة دواعي الحقيقة.

ومقابل الإخلاص عندهم هو أن يمزج الإنسان غرضاً آخر يفرضه؛ كحُب الجاه وطلبِ حُسن الذكر وطَمَعِ ثواب الآخرة والنجاة من عذاب الله. فما يفعل السالك ويقول إنما يفعل ويقول قربة إلى الله وحده لا يشوبه شيء من الأغراض الدنيوية أو الأخروية ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر ٣]؛ أي لا يكون الدين الصافي عن شوب الغيرية والأنانية من رياء وآفة من عجب وتزيّن وغير ذلك إلا بتفرد الله به وتوحيده فيه؛ لأنك لفنائك فيه بالكلية فلا ذات لك ولا صفة ولا فعل ولا دين دونه وإلا لما خلص الدين وصفى بالحقيقة ولا يكون لله، فما دامت الغيرية والأنانية باقية والعباد والعبودية والعبادة والإخلاص والدين حاضراً يكون العمل مشوباً، وهذا شركٌ لدى أرباب القلوب.

وقسموا الإخلاص إلى ثلاث مراتب كما يلي: الرتبة الأولى/ إخراج رؤية العمل من العمل، والإخلاص من طلب العوض عن العمل، والنزول عن الرضا بالعمل. الرتبة الثانية/ الخَل من العمل مع بذل المجهود، وتوفير الجهد بالاحتماء من الشهود، ورؤية العمل في نور التوفيق من عين الجود. الرتبة الثالثة/ إخلاص العمل بالإخلاص من العمل، فتدعه يسير مسير العلم، وتسير أنت مشاهداً للحكم، حرّاً من رِق الرّسم. وقسموا الإخلاص والخلوص إلى قسمين: الأول/ هو خلوص الدين والطاعة لله. والثاني/ هو خلوص النفس لله.

فحقيقته إذاً هي: تصفية العمل عن شائبة سوى الله وتصفية السر عن رؤية غير الحق تعالى في جميع الأعمال الصورية واللّبية والظاهرية والباطنية.

<sup>١</sup> انظر شرح إحقاق الحق، للسيد المرعشي: ج ٢٧ ص ١٤٧ و ١٤٨ نقل بعضه بقوله: ومن خطبة له عليه السلام رواها جماعة من العامة.

وكمال الإخلاص بإيجاز هو: تزكّ الغير مطلقاً وجعلُ الإنيّة والأناية والغير والغيرية تحت قدميك.

#### ٥- السَّير والثبات على خط الغرض:

بمعنى أن تتجّه نحو غرض النية الصالحة التي حدّدتها وخلّصتها من الكدورات فتحقّقها على أرض الواقع مع الحفاظ عليها إلى الأخير، فالسالك قد يحدّد غرضه ويشخصه ويخلصه من الشوائب كلّها ويحقّقه أيضاً في الواقع العملي لكنه في منتصف الطريق سرعان ما يخمل ويفنى صبره ويتهزم ويتراجع أو يلوّث غرضه بشائبة منكّرة فلا ينال النجّاح والفلاح. هذا الذي هكذا هو أشبه ما يكون بالوليد حديث الحبو أو الصغير، ألا ترى أن الطفل إذا توجّه نحو شيء تفصله عنه مسافة - وإن كانت صغيرة - فصادف شيئاً آخر في طريقه انحرف نحوه؟ وكلّما كان طريق ذاك الشيء أبعد كلّما كانت العوارض أكثر وكلّما كان الوصول إليه أصعب ومملاً لمن ينتظره ومُتفراً له وإن كان نفس الطفل يعيش اللذة غير ملتفت لما ينتج عنه هذا التصرف من نفاذ الفرصة والسخط الذي ينتظره جرّاء ذلك .. وإذا ألقيت له شيئاً زهّده بما في يده مما يحب وربّما ألقاه في القمامة كشيء من الفضلات مسرعاً نحو الآخر، ثم إذا أبصر طفلاً أخذ ما تركه اشتاق إليه ونازعه فيه، فهو يتقلّب في إراداته حسب كلّ عارض جديد دون وعي ..

في المقابل هنالك الكثير منّا من هكذا أحوالهم ولكن بهيئة مطوّرة، قد تجده يصبر، لكنه لا يحتمل طول الصبر .. أمّا الذين يتحلّون بطاقة هائلة على الثبات والتحمّل، فهم قلة. إنّ السَّير نحو تحقيق الغرض إلى آخر مرحلة منه يحتاج للوعي والرقابة والسعي للثبات على خط الغرض، فالإنسان العظيم لا يثنيه عارض عن غايته الأساس المحدّدة ولا يخنيه شيء عن مسيره نحو ذلك الأفق بالتوكل على الله مستعيناً بقوّته وعونه سبحانه وتسديده؛ فلا حول ولا نجا ولا عز ولا غنى إلا بهذا التوكل، حيث أثر عن أبي عبد الله الحسين عليه الصلاة والسلام قوله: «إنّ العز والغنى خرجا يجولان، فلقيا التوكل فاستوطنا»<sup>٩</sup>.

فألئك - القلة - الذين يتحلّون بطاقة هائلة على الثبات والتحمّل، إنما يصلون إلى هذه القوّة بالتمرس وقوّة جمرّة نار المحبّة في أفئدتهم - الكامنة في قوّة الإرادة - والاتّفات والملاحظة؛ لذا كان الله تعالى معهم؛ لأنهم حقّاً أحبّاه فهم أفراد أقوياء؛ ولذا وصفهم أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام بالعاملين؛ ذلك لأنهم يصلون لمُنّة العمل ويحقّقونه على أرض الواقع كما ينبغي له أن يكون دون إخلال يرتبط بالمجهود اللازم، وأنا وأنت لتصير منهم لأبد أن نفهم أولاً بأنّ الحفاظ على النية صحيحة طوال خط المسير أشدّ من جهاد السيف والقتال في المعركة الأكثر ضراوة كما ذكر عليه الصلاة والسلام.

فاعلم أيها العزيز أنّ هذه هي أصعب مرحلة بين هذه المراحل؛ لأنها مُركّبة من جميع المراحل السابقة وستتكرر معك كل لحظة طوال مسيرك نحو الهدف؛ بالتالي هي ليست بحاجة لأي رقابة كانت، هي بحاجة لرقابة دقيقة ومستدامة؛ يقول أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام: «تخليص النية عن الفساد أشدّ على العاملين من طول الجهاد»<sup>١٠</sup>.

إننا نعوذ بالله تعالى أن لا نوفق لذلك فتخيب ونفشل، نعوذ بالله أن نقع بوسط الطريق في مضيدة لأهوائنا الشقية أو للشيطان.

#### الذين خرجوا من مكة نموذجاً:

الذين خرجوا مع الإمام الحسين عليه الصلاة والسلام من مكة المشرفة كانوا كثر، ومن العباد، وربّما أطلق عليهم البعض مسمّى عرفاء، فقد بلغ عدد هؤلاء بحسب رواية الأندلسي والدينوري ٩٠ شخصاً<sup>١١</sup> وحسب رواية ابن كثير ٣٠٠ شخص<sup>١٢</sup> بينما ذكر

<sup>٩</sup> مستدرك الوسائل: ج ١١ ص ٢١٨ ح ١٢٧٩٣.

<sup>١٠</sup> خطبة الوسيلة للإمام علي عليه السلام.

<sup>١١</sup> العقد الفريد، لابن عبد ربه الأندلسي: ج ٤ ص ٣٥٥ - الإمامة والسياسة، لابن قتيبة الدينوري: ج ٢ ص ١٠.

<sup>١٢</sup> البداية والنهاية، لابن كثير: ج ٦ ص ٢٥٩.



المسعودي عددهم في كربلاء بعد مُضايقة جيش الحُرِّ الرياحي أكثر من ذلك بكثير<sup>١٣</sup>، لكن الذين وصلوا معه عليه الصلاة والسلام إلى ساعة العُسرة وبَقُوا معه إلى خَطَرِ العاشر يشاركونه المِحَنَ المُفْجِعة والآلامَ المُؤْجِعة يواسونه بكل شيء في كل شيء عددهم بجسب أشهر الروايات والتي منها رواية لِّلوط بن يحيى الغامدي الأزدي عن الصَّخَّاك بن عبد الله المشرفي ورواية الشيخ المُفيد ٧٢ شخصاً<sup>١٤</sup>... فمجموعة من أُنْثِكَ الأصحاب انسحبوا في وسط الطريق، بل وفي أشد لحظات الأداء والعمل، لماذا؟ هل لأنهم يجهلون مقام الإمام عليه الصلاة والسلام وطريقه؟ أم كانوا جُبْناء يَخْشَوْنَ ضَرْبَ السَّيْفِ ..؟

كَلَّا؛ فَهُمْ يَعْرِفُونَ الحسين سلام الله عليه أكثر مني ومنك وعاشروه عن جسٍّ مباشر يروونه بأعينهم ويسمعونه بأذانهم -وليسَ الْخَبَرُ مِنَّا كَالْمُعَايَنَةِ مِنْهُمْ- ولا يَأْتُونُ المَعَارِكِ وإلا لَمَّا كانوا خَرَجُوا إِيَّاهُ مع يقيينهم بوقوع حربٍ وراء ثَوْرته، بينما في المقابل نجد الذين انتقلوا مِن جيش العدو إلى جيشه عليه الصلاة والسلام يَصِلُ عددهم -على رواية السيد ابن طاووس- إلى ٣٢ رجلاً<sup>١٥</sup>، فما هو السبب الذي يجعل من جَوَيْن بن مالك بن قيس الضبعي والحلاس بن عمر الراسبي وأخيه النعمان وزهير بن سليم الأزدي والحارث بن امرئ القيس الكندي وعمرو بن ضبيعة التميمي وعبد الرحمن بن مسعود بن الحجاج وأبيه مسعود وأبى الشعثاء الكندي، ما السبب الذي يجعل من هؤلاء وأمثالهم أن يَغَيِّرُوا مَسَارَهُمْ وَيَنْتَقِلُوا بكامل إرادتهم مِن معسكِرٍ ابن سعد إلى معسكِرِ الإمام سلام الله عليه؟ لقد تَحَوَّلَ هؤلاء في المَوْقف الذي يَرَوْنَ فيه النَّصْرَ الميداني لِمَنْ، تَحَوَّلُوا مِن مَظْهَرِ العدو إلى أصحاب وأصدقاء وإرفاق دَرْبٍ أَبَدِيٍّ في كل شيء. بل وإنَّ بعض أصحاب الإمام عليه الصلاة والسلام بقوا صامدين على غَرَضِهِم الخالص الطاهر إلى ما بعد استشهاد الإمام عليه السلام؛ كَأَبِي الحتوف وأخيه سعد بن الحرث وكذا سويد بن أبى مطاع الذي كان جريحاً ثم استشهد بعد استشهاد الإمام... فَهُمْ لم يَقُولُوا مادام استشهد الإمام وانتهى الأمر لا داعي للاستمرار على هذا الطريق.

فالسبب كُلُّ السبب هو أَنَّ هؤلاء العاملين خَلَّصُوا نِيَّاتَهُمْ عن الفَسَاد وساروا بِثَبَاتٍ على خطِ الْغَرَضِ إلى آخر لحظة، بينما أُنْثِكَ لم يَمْلِكُوا الإخلاص الحقيقي الدائم والتَقْوَى الكافية والثَّبَاتَ المستديم، إنَّ أَرْضِيَّةَ قُلُوبِهِمْ مَشُوبَةٌ غَيْرُ نَقِيَّةٍ؛ لذا كانت مَوْهَلَةٌ لأن تَحْنِي في أي لحظة وتَمِيلُ إلى جانب الْغَيْرِ والغَيَّرَةِ والمَصْلَحَةِ الشخصية الآئِنَةِ وطاعة الشيطان والضَّياع، فَزَلَّتْ أَقْدَامُهُمْ في منتصفِ الْمَسِيرِ وباؤوا بالفشل وخَسِرُوا خُسْرَاناً مُبِيناً. أليس كُلُّ هؤلاء رَحَلُوا ولم يَبْقَ سِوَى صنائعهم بين أهل الدنيا وفي البرزخ والآخرة؟ حقاً إنه واقعٌ مُخِيفٌ، فكم تَحْتَاجُ النفسُ للإعداد قبل الامتحانات المستفجِلة في صُعُوبَتِهَا وَخَطُورَتِهَا وعميقِ ابتلاءِهَا وإلا فإنَّ الإمام عليه الصلاة والسلام كما لم يَكُنْ عدد العدو -مِنْ حَيْثُ الصَّرَاعِ- يَهْمُهُ أَوْ يُغَيِّرُ مِنْ عَزِيمَتِهِ وَإِرَادَتِهِ كَذَلِكَ عدد هؤلاء -مِنْ حَيْثُ الصَّرَاعِ- لم يَكُنْ يَعْنِي شَيْئاً بالنسبة له وهو الذي بحسب بعض الروايات عن أبى جعفر الباقر عليه السلام أُصِيبَ بِـ ٣٠٠ وَبِضْعَةِ عَشْرِينَ طَعْنَةً بِرِمَحٍ وَصَرَبٍ بِسَيْفٍ وَرَمِيَ بِسَهْمٍ<sup>١٦</sup>، فسواءٌ عنده صلوات الله وسلامه عليه ذَهَبُوا معه أم رَجَعُوا، انضموا إليه أم لم يَنْضَمُوا، فوجودهم لن يَحْقُقَ الهزيمة للعدو...، إنما هُمُ ونحن بحاجة للحسين وخُلُودِهِ لا الحسين بحاجتنا وحاجتهم؛ لذا أَحْلَهُمْ مِنْ بَيْعَتِهِ عدة مرات بإرادته الكاملة وبِغُلٍّ صدق، وَجِئْنَا نحن أيضاً مِنْ بَيْعَتِهِ كما أَحْلَهُمْ. هؤلاء لنا عِبْرَةٌ نحن المساكين الباقين في سَوَاطِئِ الامتحان؛ فـ«الْفِكْرَةُ مَرَأَةٌ صَافِيَةٌ وَالْإِعْتِبَارُ مُنْذِرٌ نَاصِحٌ، مَنْ تَفَكَّرَ اعْتَبَرَ وَمَنْ اعْتَبَرَ اعْتَزَلَ [أَخْطَاءَ الْمَاضِيْنَ وَعَصِيَانَهُمْ أَوْامِرَ اللَّهِ] وَمَنْ اعْتَزَلَ سَلِمَ»<sup>١٧</sup>، «فَاعْتَبَرُوا بما كان مِنْ فِعْلِ اللَّهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ الطَّوِيلَ وَجَهَدَهُ الْجَهْدَ وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللَّهَ سِتَّةَ آلَافٍ سَنَةً لَا يُدْرِي أَمْ مِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ مِنْ سِنِي الْآخِرَةِ عَنْ كِبَرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ، فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللَّهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ؟

<sup>١٣</sup> مروج الذهب، المسعودي: ج ٣ ص ٧١.

<sup>١٤</sup> تاريخ الأمم والملوك، للطبري: ج ٤ ص ٣٢٠ - الإرشاد، للشيخ المفيد: ج ٢ ص ٩٥ - الفتوح، لابن أَعْتَم: ج ٥ ص ١٠١ - أنساب الأشراف، للبلاذري: ج ٣ ص ٣٩٥ وغيرهم.

<sup>١٥</sup> ذكر ذلك في مقتلته المسمى اللهوف على قتلى الطفوف.

<sup>١٦</sup> الأمالي، للشيخ الصدوق: مجلس ٣١ ص ٢٢٨ ح ١ - مناقب آل أبي طالب، لابن شهر آشوب: ج ٤ ص ١٢٠ - تاج المواليد، للشيخ الطبرسي: ص ٣١ - روضة الواعظين، للفتال النيسابوري: ص ١٨٩.

كنز الفوائد: ج ٢ فصل من كلام أمير المؤمنين عليه السلام ص ٨٣.



كَلَّا مَا كَانَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بَأْمَرٍ أُخْرِجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا، إِنَّ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ وَمَا بَيَّنَّ اللَّهُ وَبَيَّنَّ أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَّةً<sup>١٨</sup> فِي إِبَاحَةِ حِمَى حَرَمِهِ عَلَى الْعَالَمِينَ<sup>١٩</sup>، فَتَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ نَكُونَ مِصْدَاقًا لِمَنْ قَالَ عَنْهُمْ رَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

«مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلدُّنْيَا وَالْمَنْزِلَةِ عِنْدَ النَّاسِ وَالْحَظْوَةِ عِنْدَ السُّلْطَانِ، لَمْ يَصِبْ مِنْهُ بَابًا إِلَّا أَزْدَادَ فِي نَفْسِهِ عَظَمَةً، وَعَلَى النَّاسِ اسْتِطَالَةً، وَبِاللَّهِ اغْتِرَارًا، وَمِنَ الدِّينِ جَفَاءً، فَذَلِكَ الَّذِي لَا يَنْتَفِعُ بِالْعِلْمِ، فَلْيَكْفِ وَلْيَمْسِكْ عَنِ الْحُجَّةِ عَلَى نَفْسِهِ، وَالنَّدَامَةُ وَالْخِزْيُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>٢٠</sup>، ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتِ كِتَابِيَّةً \* وَلَمْ أَذِرْ مَا حَسَابِيَّةً \* يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ \* مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَّةُ \* هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَّةً \* خُدُوهُ فَعُلُوهُ \* ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ \* ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ \* ... فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ \* وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ \* لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ \* فَلَا أُفْسِمْ بِمَا تَبِصَّرُونَ \* وَمَا لَا تُبْصِرُونَ \* إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ \* وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَاعِرٍ قَلِيلًا مَا تُؤْمِنُونَ \* وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تَدَّكَّرُونَ \* تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ \* وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ \* لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ \* ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ \* فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ \* وَإِنَّهُ لَتَذَكُّرٌ لِلْمُنْتَقِبِينَ \* ... وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ﴾ [الحاقة: ٢٥-٥١].

ونسأله سبحانه -في ذات الحين- وهو المُعِينُ اللَّطِيفُ أَنْ نَكُونَ مِمَّنْ قَالَ عَنْهُمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «مَنْ طَلَبَ الْعِلْمَ لِلَّهِ لَمْ يَصِبْ مِنْهُ بَابًا إِلَّا أَزْدَادَ فِي نَفْسِهِ ذَلًّا، وَفِي النَّاسِ تَوَاضَعًا، وَلِلَّهِ خَوْفًا، وَفِي الدِّينِ اجْتِهَادًا، وَذَلِكَ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِالْعِلْمِ فَلْيَتَعَلَّمْهُ»<sup>٢١</sup>، ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنْكُمْ خَافِيَةٌ \* فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَؤُلَاءِ أَقْرَبُوا كِتَابِيَّةً \* إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَّةً \* فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ \* فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ \* قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ \* كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ [الحاقة: ١٨-٢٤].

### كيفية الضبط:

وَلِنَضْبِطِ الْحُدُودَ وَنَسِيرَ عَلَى الْعَرَضِ الصَّحِيحِ مُحَافِظِينَ عَلَيْهِ إِلَى الْآخِرِ عَلَيْنَا أَنْ نَدْرِكَ الْآتِي:

**أولاً:** أَنْ نَدْرِكَ بَأْنَ الْإِخْلَاصِ مِنَ الْمَرْحَلَةِ الْأُولَى إِلَى الْمُنْتَهَى خَيْرِ النَّعَمِ؛ فَعِنَ وَلَيْنَا الصَّادِقُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ قَالَ: «مَا أَنْعَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى عَبْدٍ أَجَلَ مَنْ أَنْ لَا يَكُونَ فِي قَلْبِهِ مَعَ اللَّهِ غَيْرُهُ»<sup>٢٢</sup>؛ بِالتَّالِي دُئْمًا يَخَاطِبُ الْعَاقِلُ نَفْسَهُ: كَيْفَ أَقْوَتَ أَفْضَلَ النَّعَمِ عَلَى نَفْسِي!

وهذا -إذا تلاحظ- يَتَضَحُّ فِي بَقِيَّةِ الْأُمُورِ التَّالِي ذِكْرُهَا:

**ثانياً:** أَنْ نَعْلَمَ بَأْنَ الْإِخْلَاصِ الْمُسْتَدَامَ إِلَى الْآخِرِ يُوَثِّرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ فِينَا حَتَّى عَلَى أَبْدَانِنَا؛ فَالْعَمَلُ يَكُونُ وَاحِدًا وَيَتَغَيَّرُ نَتَاجُهُ بِسَبَبِ نَيْتِهِ؛ فَمَثَلًا: سَكِينِ الْجَرَاحِ وَسَكِينِ الشَّرِّيرِ وَاحِدَةٌ بِحَسَبِ الظَّاهِرِ، وَمِنْ حَيْثُ الْعَمَلُ أَيْضًا، لَكِنِ النَّيَّةُ تَجْعَلُ الْمَوْقِفَ الْمَتَّخَذَ مِنْ أَحَدِهِمَا غَيْرَ الْمَوْقِفِ الْمَتَّخَذَ مِنَ الْآخَرِ؛ فَتَصِيرُ الْأُولَى نَافِعَةً فَاعِلَةً فِي سَبِيلِ إِحْيَاءِ نَفْسِ الْمَرِيضِ وَإِنْ مَاتَ، وَالْآخَرَى مُرْهِبَةً إِجْرَامِيَّةً وَإِنْ بَقِيَ الْمَظْلُومُ حَيًّا؛ كَذَلِكَ تَمَامًا الْعَمَلُ بِإِخْلَاصٍ وَدُونِهِ؛ فَهُوَ يُوَثِّرُ فِكْرِيًّا وَرُوحِيًّا وَنَفْسِيًّا وَجَسَدِيًّا وَمَصِيرِيًّا؛ إِمَّا

<sup>١٨</sup> هَوَادَّةٌ: أَيُّ رُخْصَةٍ وَتَسَامُحٍ وَسُكُونٍ وَلِينٍ وَرَفَقٍ وَمُحَابَاةٍ بِمِيلٍ لِحَاظٍ مَعَ انْحِرَافٍ عَنِ الْعُدْلِ.

<sup>١٩</sup> نَهْجُ الْبَلَاغَةِ، صَبِيحِي صَالِحٍ: خُطْبَةٌ ١٩٢ ص ٢٨٧.

<sup>٢٠</sup> رَوْضَةُ الْوَاعِظِينَ، لِلْفَتَاوَى النِّيْسَابُورِيِّ: ص ٣٥.

<sup>٢١</sup> الْمَصْدَرُ السَّابِقُ: ص ٣٥.

<sup>٢٢</sup> التفسير الصافي، للفيض الكاشاني: ج ١ سورة البقرة ص ١٥٠ - مستدرك الوسائل، للميرزا حسين النوري الطبرسي: ج ١ ص ١٠١ نقلًا عن تفسير العسكري عليه السلام ص ١٣٢ - بحار الأنوار، للعلامة المجلسي: ج ٦٦ ص ٣٤٣ ج ٦٧ ص ١٩٨ ج ٦٧ ص ٢١١.

إيجاباً بتحقيق الإخلاص وإيجاده أو سلباً بتقويضه وافتقاده، ولهذا من عميق الحكمة وعجيبها أن يُشبهه أمير المؤمنين عليه السلام بالجسم والحياة بقوله:

«لا يقوم الدين إلا بالنية الصادقة، كما لا يقوم الجسم بغير الحياة»، ويُشبهه إمامنا أبو إبراهيم الكاظم عليه السلام في وصية لهشام بالجسد والنفس الحية بقوله: «وكما لا يقوم الجسد إلا بالنفس الحية فكذلك لا يقوم الدين إلا بالنية الصادقة»<sup>٣٢</sup>.

**ثالثاً:** أن نَعْلَمَ بأن الإخلاص الدائم في تحديد الغرض وعدمه .. ملاك الإنسانية والبهيمية تكوينياً؛ فعن الصادق صلوات الله وسلامه عليه قال: «ولا بُدَّ للعبد من خالص النية في كل حركة وسكون؛ لأنه إذا لم يكن هذا المعنى يكون غافلاً، والغافلون قد وصفهم الله تعالى فقال: ﴿إِنَّهُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ وقال: ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾»<sup>٣٤</sup>.

فيلزم توظيف العقل كما وظّفه أبو جعفر الباقر سلام الله عليه بقوله: «ما بين الحق والباطل إلا قلة العقل»<sup>٣٥</sup> وسبّطه أبو الحسن الكاظم عليه الصلاة والسلام في وصيته لهشام بقوله: «ولا تثبّت النية الصادقة إلا بالعقل»<sup>٣٦</sup>.

**رابعاً:** أن لا نرجو غير الوجه الذي يكفي كل وجه؛ ففي خبر رسول الله صلى الله عليه وآله: «اعمل لوجه واحد يكفيك الوجه كلها»<sup>٣٧</sup>؛ فمن ذا يكون الوجه الذي يستطيع أن يكفي كل الوجه غير وجه الله الذي هو الوحيد القادر على ذلك؟ وفي مقول أبي جعفر عليه السلام «ما بين الحق والباطل إلا قلة العقل» قيل له:

«وكيف ذلك يا ابن رسول الله؟ قال: إن العبد يعمل العمل الذي هو لله رضاءً، فيريد به غير الله، فلو أنه أخلص لله لجاهه الذي يريد [من ذلك الغير] في أسرع من ذلك»، وقد تقدّم عليك فيما رواه الشيخ المفيد -أعلى الله قدره- في قول أبي عبد الله الحسين سلام الله عليه حين سئل عن خير الدنيا والآخرة، فكتب: «بسم الله الرحمن الرحيم. أما بعد، فإنه من طلب رضى الله بسخط الناس كفاه الله أمور الناس، ومن طلب رضى الناس بسخط الله وكله الله إلى الناس، والسلام».

فلزم اجتناب الهوى وقطع الطمع بالناس فإنهم من تراب وإلى تراب؛ لذا كان «أول الإخلاص اليأس مما في أيديهم»، لكن هذا لا يعنى الاعتزال عنهم في الحوائج والمطالب وإنكار آثارهم التي جعلها الله تعالى في إيجادهم وطاقاتهم وتمائزاتهم؛ فالإنسان كما ينص الحكماء في علم النفس الفلسفى اجتماعى بطبعه، أو اعتزالى بطبعه لكنه بحاجة ماسة للمجتمع مما يتسبب بجعله اجتماعياً لتحقيق مصالحه الضرورية وكمالاته. فهو بحاجة للمجتمع البشرى المماثل له كحاجته للمجتمع الطبيعى من نباتات وغيرها، والعباد المفطورة على العقول وسيلة مطلوبة كما أن الحبل وسيلة لبلوغ القمم والسلم وسيلة لصعود الأعالى؛ لذا قرن سبحانه في الخير شكره بشكرهم وأوجب على العبد الحمد للمخلوق المحسن.

**خامساً:** أن نتذكر دائماً أن الله تقدّست أسماؤه أزهد ما يكون في عمل مشوب، سواء فسّد الغرض بشائبة من بداية الأمر أم في وسط الأداء أم في منتهاه؛ فمَنْزِلَة صاحب العمل المشوب عند الله كمَنْزِلَة الفقيه من السفيه وكمَنْزِلَة السفيه من الفقيه فذاك زاهد في قرب هذا وهذا فيه أزهد منه فيه؛ ففي القدّسى -وهو موثق كالصحيح- روى عنه سبحانه: «أنا خير شريك ومن أشرك معى غيرى في عمل عمله، لم أقبله إلا ما كان لى خالصاً»<sup>٣٨</sup>.

<sup>٣٢</sup> تُخَفُّ الْعُقُولُ عَنْ آلِ الرُّسُولِ، لابن شعبة الحراني: ص ٣٩٦ - بحار الأنوار، للعلامة المجلسي: ج ١ ص ١٥٣ ج ٧٥ ص ٣١٢.

<sup>٣٤</sup> مستدرک الوسائل، للميرزا حسين النوري الطبرسي: ج ١ باب ٨ من أبواب مقدمة العبادات ص ٩٩ ر ٨٦ / ٣ ناقلاً عن مصباح الشريعة.

<sup>٣٥</sup> المحاسن، لأحمد بن محمد بن خالد البرقي: ج ١ ص ٢٥٤ ح ٢٨٠.

<sup>٣٦</sup> تُخَفُّ الْعُقُولُ عَنْ آلِ الرُّسُولِ، لابن شعبة الحراني: ص ٣٩٦ - بحار الأنوار، للعلامة المجلسي: ج ١ ص ١٥٣ ج ٧٥ ص ٣١٢.

<sup>٣٧</sup> كنز العمال، للمتقي الهندي: ج ٣ ص ٢٣ ر ٥٢٦٠ - الكامل، لعبد الله بن عدي الجرجاني: ج ٧ ص ٢٨ / ١٩٨١ ص ٤٩.

<sup>٣٨</sup> روضة المتقين في شرح من لا يحضره الفقيه، لمحمد تقي المجلسي الأول: ج ١٢ وجوب الإخلاص في العمل ص ١٤١ - المحاسن، لأحمد بن محمد بن خالد البرقي: ج ١ ص ٢٥٢ ر ٢٧٠ - الكافي، للشيخ الكليني: ج ٢ ص ٢٩٥ ر ٩.

واعلم أنه إذا قسنا الأداء من حيث الجُهد الإنساني "في الشيء المترابط" فكُلُّما وقعتِ الشائبة في العمل متأخرة عن حين شروعه كلما كان ذلك أشد فشلاً للعبد؛ فمثلاً فساد النية في منتصف الطريق أشد خسارة من فساده في أول الطريق، وفسادها في نهاية الطريق أشد خسارة من فساده في أول الطريق ووسطه؛ ذلك لأن العبد يكون قد أضاع شوطاً أتعابه التي بذلها فذهبت بما خلط به نيته من الأهواء واللذائذ الباطلة فكتب عند الله فاسداً وباطلاً مُستهلكاً لصالح تلك اللذائذ والمُراتد الباطلة؛ فهو مثيل قول أمير المؤمنين عليه السلام «الحَجَرُ الغَصْبُ في الدَّارِ رَهْنٌ على حَرَابِهَا»<sup>٢٩</sup>؛ أي الحَجَرُ المغصوب الذي وُضِعَ في بناء الدار وإقامتها يجعل من الدار كلها مرهونة لذلك الحَجَرِ بخرابها بسببه رغم أن باقي البناء كله من الحلال. فأنت تعلم أن مَنْ طَلِبَ مِنْهُ جَلَبَ كأس من الماء فذهب مطيعاً ليجلبه فلما انقلب على طاعة الأمر فسكب الماء عامداً عند اقترابه قبل أن يسلمه إليه هو أشد تعباً وفساداً وعقوبة ممن لم يمتثل للأمر مثلاً منذ البداية ..

وهذا بخلاف العمل "الغير مترابط"؛ فإن فساده في مرحلة من المراحل لا ينسحب على المرحلة أو المراحل السابقة مادام لم يرجع العبد عليها بإفساد آخر يهدمها به، وفي كل ذلك متى تاب العبد وعاد إلى رُشدِهِ وسلامة الأداء جابراً ما يحتاج من الخلل لجبران -إن وُجد- استطاع الخروج من ساحة البُعد عنه سبحانه والعودة إلى فناء الرحمة القدسية.

**سادساً:** أن لا يذهب عن فكرتنا أن الثبات على خط الغرض الصحيح فيه النجاة؛ فقد قال أمير المؤمنين: «في الإخلاص يكون الخلاص»<sup>٣٠</sup>.

**سابعاً:** أن نوظن أنفسنا على يقينية أن الإخلاص رأس مال كل توفيقٍ وخيرٍ في كل العوالم، سواء كان توفيقاً دنيئاً أم ناسوتياً خاصاً أم مجتمعياً أم أممياً أم ملكوتياً أم برزخياً أم أخروياً .. ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ [مريم ٩٦]؛ فقد فسر العمل الصالح في الروايات والتفاسير بما يكون غرضه لله أبدياً.

وهذا الود ليس مخصوصاً بهذا العالم الدنيوي النازل فحسب، بل يشمل العوالم الأخرى تجاه العبد بما فيها من جنود وموجودات تابعة لله؛ كود الأنبياء له والملائكة وأموات المؤمنين وكود جنة البرزخ له وكود شجر وأنهار جنة الفردوس له .. وعلى رأسها ود الله له الذي هو فاعل تلقائي لئشوء الود لذلك العبد من كل جنوده ومخلوقاته التابعة له سبحانه بما فيها مؤمنين الجن؛ فكل شيء رهن لخدمة وسعادة هذا العبد العامل المودود. أو قل: هذا الود ليس مخصوصاً بعوالم الآخرة فحسب، بل يشمل العالم الدنيوي أيضاً.

**ثامناً:** أن نذكر بأن فقداننا للإخلاص الكامل دليل عدم يقينتنا بالله أو ضعف اليقين؛ فإنه «على قدر قوة الدين يكون خلوص النية»، بينما يقول أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام: «سبب الإخلاص اليقين»<sup>٣١</sup> والعكس عكسه.

## ● ثاني التوصيات الضرورية: التزود:-

جاء رجل إلى الإمام علي بن الحسين عليه الصلاة والسلام يشكو إليه حاله؛ فقال صلوات الله وسلامه عليه: «مسكين ابن آدم له في كل يوم ثلاث مصائب لا يعتبر بواحدة منهن ولو اعتبر لَهانت عليه المصائب وأمر الدنيا، فأما المصيبة الأولى فالיום الذي ينقص من عمره، قال وإن ناله نقصان في ماله اغتم به والدرهم يخلف عنه والعمر لا يردده، والثانية إنه يستوفي رزقه فإن كان حلالاً حوسب عليه وإن كان حراماً عوقب عليه، قال والثالثة أعظم من ذلك. قيل: وما هي؟ قال: ما من يوم يمسي إلا وقد دنا من الآخرة مرحلة لا يدرى على الجنة أم على النار ...»<sup>٣٢</sup>.

<sup>٢٩</sup> خطبة الوسيلة للإمام علي عليه السلام.

<sup>٣٠</sup> ميزان الحكمة، للشيخ محمد الريشهري: ج ١ ص ٧٥٤.

<sup>٣١</sup> عيون الحكم والمواعظ، لعلي بن محمد الليثي الواسطي من أعلام الإمامية في القرن السادس: الباب الثاني عشر مما ورد في حكم أمير المؤمنين عليه السلام في حرف السين فصل ١ ص ٢٨٢.

<sup>٣٢</sup> الاختصاص، للشيخ المفيد: ص ٣٤٢.



إِنَّ عُمْرَكَ رَأْسُ مَالِكَ فِي هَذَا الْوُجُودِ الْقَصِيرِ، إِنَّا كَمَا عَبَّرَ عَنَّا عَلَيْهِ السَّلَامُ مَسَاكِينُ، وَلَنْ تَرْتَفِعَ عَنَّا هَذِهِ الْمَسْكَنَةُ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ حَقِيقَةِ وَجُودِنَا وَالْغَرَضُ مِنْ إِجَادَتِنَا هُنَا، وَبِقَدْرِ الْمَعْرِفَةِ لَدَى كُلِّ إِنْسَانٍ تَنْعَقِدُ لَهُ الدَّرَجَاتُ فِي جَمِيعِ مَنَازِلِ الْوُجُودِ، وَ«دِرَاسَةُ الْعِلْمِ - كَمَا عَنْ سَيِّدِ الشَّهَدَاءِ - لِقَاحُ الْمَعْرِفَةِ»<sup>٣٣</sup>؛ فَالْعِلْمُ سُرُّ الْأَسْرَارِ، وَبِهِ تَفُوقُ آدَمُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ حِينَمَا سَأَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ ﴿أُنَبِّئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ﴾ [البقرة: ٣١]، وَبِهَذَا الْعِلْمِ تُنَالُ الْحِكْمَةُ وَيَتَحَقَّقُ الْإِعْتَصَامُ:

«لَا تُخْلِ نَفْسَكَ مِنْ فِكْرَةٍ تُزِيدُكَ حِكْمَةً، وَعِبْرَةٍ تُفِيدُكَ عِصْمَةً»<sup>٣٤</sup>، إِنَّهَا الْأُنْسُ الْجَمِيلُ وَالسَّعَادَةُ الْحَقِيقِيَّةُ حَيْثُ جَاءَ: «فَتَفَكَّرُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَتَبَصَّرُوا وَاعْتَبَرُوا وَاتَّعِظُوا وَتَزَوَّدُوا لِلْآخِرَةِ تَسْعَدُوا»<sup>٣٥</sup>، وَقَدْ وَصَفَ نَبِينَا الْعَظِيمُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ هَذِهِ السَّعَادَةَ لِأَبِي ذَرِّ الْغَفَارِيِّ رِضْوَانِ اللَّهِ عَنْهُ فِي حَدِيثٍ أَهْتَمَّ بِهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِدَرَجَةِ أَنَّهُ يَرْوِيهِ بِنَفْسِهِ، قَالَ:

«بَيْنَمَا أَنَا جَالِسٌ فِي مَسْجِدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذْ دَخَلَ أَبُو ذَرٍّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ جَنَازَةُ الْعَابِدِ أَحَبُّ إِلَيْكَ أَمْ مَجْلِسُ الْعِلْمِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، الْجُلُوسُ سَاعَةً عِنْدَ مَذَاكِرَةِ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَلْفِ جَنَازَةٍ مِنْ جَنَائِزِ الشَّهَدَاءِ، وَالْجُلُوسُ سَاعَةً عِنْدَ مَذَاكِرَةِ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قِيَامِ أَلْفِ لَيْلَةٍ يُصَلِّي فِي كُلِّ لَيْلَةٍ أَلْفَ رَكْعَةٍ، وَالْجُلُوسُ سَاعَةً عِنْدَ مَذَاكِرَةِ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَلْفِ غَزْوَةٍ وَقِرَاءَةِ الْقُرْآنِ كُلِّهِ. قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَذَاكِرَةُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ كُلِّهِ؟

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، الْجُلُوسُ سَاعَةً عِنْدَ مَذَاكِرَةِ الْعِلْمِ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ كُلِّهِ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ مَرَّةً. عَلَيْكُمْ بِمَذَاكِرَةِ الْعِلْمِ فَإِنَّ بِالْعِلْمِ تَعْرِفُونَ الْحَلَالَ مِنَ الْحَرَامِ. يَا أَبَا ذَرٍّ، مَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ لِيَلْتَمِسَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ كَتَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لَهُ بِكُلِّ قَدَمٍ ثَوَابَ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَعْطَاهُ اللَّهُ بِكُلِّ حَرْفٍ يَسْمَعُ أَوْ يَكْتُبُ مَدِينَةً فِي الْجَنَّةِ، وَطَالِبُ الْعِلْمِ أَحَبُّهُ اللَّهُ وَأَحَبُّهُ الْمَلَائِكَةُ وَأَحَبُّهُ النَّبِيُّونَ، وَلَا يُحِبُّ الْعِلْمَ إِلَّا السَّعِيدُ، فَطُوبَى لَطَالِبِ الْعِلْمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. يَا أَبَا ذَرٍّ، الْجُلُوسُ سَاعَةً عِنْدَ مَذَاكِرَةِ الْعِلْمِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ عِبَادَةِ سَنَةِ صِيَامٍ نَهَارَهَا وَقِيَامَ لَيْلِهَا، وَالنَّظَرُ إِلَى وَجْهِ الْعَالِمِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ عِتْقِ أَلْفِ رَقَبَةٍ، وَمَنْ خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ لِيَلْتَمِسَ بَابًا مِنَ الْعِلْمِ كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ قَدَمٍ ثَوَابَ أَلْفِ شَهِيدٍ مِنْ شَهِدَاءِ بَدْرٍ، وَطَالِبُ الْعِلْمِ حَبِيبُ اللَّهِ، وَمَنْ أَحَبَّ الْعِلْمَ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ، وَيُصْبِحُ وَيُؤْمِسُ فِي رِضَا اللَّهِ، وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَشْرَبَ مِنَ الْكُوْثَرِ، وَيَأْكُلُ مِنْ ثَمَرَةِ الْجَنَّةِ، وَلَا يَأْكُلُ الدَّوْدُ جَسَدَهُ، وَيَكُونُ فِي الْجَنَّةِ رَفِيقَ رَفِيقٍ الْخَضِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَهَذَا كُلُّهُ تَحْتَ هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]»<sup>٣٦</sup>، بَلْ فِيمَا أَسْتَدَّه الطَّبْرَانِيُّ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلُهُ: «مَنْ جَاءَهُ أَجَلُهُ وَهُوَ يَطْلُبُ الْعِلْمَ لَقِيَ اللَّهَ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّبِيِّينَ إِلَّا دَرَجَةُ النَّبُوَّةِ»<sup>٣٧</sup>.

فَتَنَجَّ إِذَا أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ الْحُضُورُ مِنَ الْمُوَالِي مِنَ مُنْطَلَقِ عَقْدِيَّ إِيْمَانِيَّ عِبَادِيَّ مَتَزِنٍ، وَلَيْسَ مِنْ مُنْطَلَقِ عَاطِفِيٍّ فَحَسَبٍ؛ فَيَنْبَغِي أَنْ يَتَزَوَّدَ مِنَ الْعِلْمِ قَدْرَ الْإِمْكَانِ؛ فَإِنَّ تَعْظِيمَ وَإِحْيَاءَ شَعَائِرِ اللَّهِ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرْبَاتِ إِلَى اللَّهِ، وَلِأَبَدٍ مَعَ قَصْدِ الْقُرْبَةِ لَهُ تَعَالَى أَنْ يَحْضُرَ لَهُذِهِ الشَّعَائِرُ بِمَنْطِقٍ وَوَعَى وَاتِّزَانٍ لِيَنَالَ الْأَجْرَ الْعَظِيمَ؛ أَجْرَ الْمَوَاسَاةِ لِأَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الَّذِي هُوَ حَقِيقَةٌ مَوَاسَاةٌ لِأَنْفُسِنَا نَحْنُ، وَأَجْرَ الْعِلْمِ الَّذِي هُوَ تَنْوِيرُ النَّفْسِ وَالسَّيْرِ نَحْوَ التَّكَامُلِ الْجَوَانِحِيِّ وَالْجَوَارِحِيِّ الْبَاطِنِيِّ وَالظَّاهَرِيِّ.

<sup>٣٣</sup> بحار الأنوار، للعلامة المجلسي: ج ٧٥ ب ٢٠ ص ١٢٨ ر ١١١.

<sup>٣٤</sup> غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٥٧.

<sup>٣٥</sup> المصدر السابق: ص ٤٧١.

<sup>٣٦</sup> موسوعة أحاديث أهل البيت، للشيخ هادي النجفي: ج ٧ النظر إلى العالم ص ٢٧٤ ح ٨٧٧١ / ٤.

<sup>٣٧</sup> المعجم الأوسط، للطبراني: ج ٩ ص ١٧٤ - مجمع الزوائد، للهيثمي: ج ١ باب فضل العالم والمتعلم ص ١٢٣.



## ● ثالثها: اختيار أفاضل المجالس واجتناب الشبهات:-

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ؛ أَسَدَ الْبَرْقِيِّ عَنْ زَيْدِ الشَّحَامِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ فِي قَوْلِ تَعَالَى: ﴿فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ﴾: «قُلْتُ: مَا طَعَامُهُ؟ قَالَ: عِلْمُهُ الَّذِي يَأْخُذُهُ عَمَّنْ يَأْخُذُهُ»<sup>٣٨</sup>؛ فَالْعِلْمُ طَعَامُ عَقْلِكَ الَّذِي هُوَ أَعْظَمُ وَأَقْدَسُ مَلَكَةٍ تَمْتَلِكُهَا كِنَاسَانُ، فَانْظُرْ مَاذَا تُدْخِلُ فِيهِ. وَلَا يَجِبُ عَنِ بَالِكَ أَنَّ الْكَيْفَ أَهْمٌ مِنَ الْكَمِّ وَالْمَعْنَى أَهْمٌ مِنَ الْكَثْرَةِ. اخْتَرِ أَفْضَلَ الْمَجَالِسِ عِلْمًا وَعَطَاءً وَوَرَعًا وَتَقْوَى، لَا أَفْضَلَهَا أَكْلًا وَشَرِبًا وَأَجْمَلَهَا شِكْلًا وَهَيْئَةً وَأَكْثَرَهَا جَمَاعَةً وَشَبَابًا وَأَجْمَلَهَا صَوْتًا .. اخْتَرِ الْمَجْلِسَ الَّذِي يَرَوِي طُمُوحَكَ الْعَقْلِي وَالرُّوحِي لَا الْمَجْلِسَ الَّذِي يَعْجَبُ صَاحِبُكَ أَوْ التَّيَّارُ الْفُلَانِي أَوْ يَتَوَاجَدُ فِيهِ جَارُكَ ..

لكن هذا لا يَمْنَعُ أَيْضًا عَنِ التَّزَوُّدِ مِنَ الْمَجَالِسِ الْآخَرَى وَالْآخَرِينَ شَرِيطَةً أَنْ لَا يَكُونَ عَلَى حَسَابِ الْوَاجِبَاتِ وَالتَّكَالِيفِ الْأَهْمُ، فَالتَّزَوُّدُ مِنَ الْمَجَالِسِ الْآخَرَى وَمِنَ الْآخَرِينَ فِي هَذِهِ الْحَالِ لَا مَانِعَ مِنْهُ، بَلْ يَكُونُ أَحْيَانًا مَحْمُودًا عِنْدَ الْعُقَلَاءِ مَطْلُوبًا لَدَى الشَّرْعِ مُسْتَحَبًّا؛ ذَلِكَ لِأَنَّ الْمَجْلِسَ -كَمَا سَلَفَ- لَيْسَ كُلُّ نَفْعِهِ الْعِلْمُ، وَإِنَّمَا يَرَادُ لغيره أَيْضًا؛ كَنَيْلِ الْبَرَكَةِ وَأَكْلِ الْفَقِيرِ الطَّعَامَ وَالتَّشْجِيعَ وَالْمُشَارَكَةَ وَالْإِحْيَاءَ بِعُنْوَانِهِ الْأَعْمَ وَالِدَّعْمَ وَالتَّلَاقِي وَالتَّعَارُفَ وَاسْتِظْهَارَ مُسْتَوِيَّاتِ الْخُطْبَاءِ وَأَهْلِ الْمَنْبَرِ وَاسْتِصْرَافَ مُسْتَوِيَّاتِ أَهْلِ الْعِلْمِ .. لِلْإِحْتِجَازِ عَنِ الشُّبُهَاتِ وَمِرَاوِدَةِ مَنَابِرِ وَمَجَالِسِ أَفْضَلِهِمْ فِيمَا يَسْتَأْنِفُ مِنَ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ فِيمَا بَعْدَ ..؛ فَفِي الْخَبَرِ الشَّرِيفِ «إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ الْعَبْرُ عَمَّا يَبَيِّنُ يَدِيهِ مِنَ الْمَثَلَاتِ حَبْرَهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ»<sup>٣٩</sup>؛ وَالتَّجَنُّبَ لِلشُّبُهَاتِ يَحْصُلُ بِالاسْتِظْهَارِ؛ فَإِنَّهُ «فَارَزَ مَنْ كَانَتْ سَجِيَّتُهُ الْاسْتِظْهَارَ»<sup>٤٠</sup>.

لهَذَا تَقَطَّنَ إِلَى أَنَّ مَا قَوْلُ الْإِمَامِ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْفَضِيلِ بْنِ يَسَارٍ: «أَنْجَلِسُونَ وَتَتَحَدَّثُونَ؟ قَالَ: نَعَمْ. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمَّا أَنِّي أَحِبُّ تِلْكَ الْمَجَالِسَ»، فَمَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هَذَا إِلَّا إِشَارَةً لِعُمُومِ الْفَوَائِدِ الْمُتَنَوِّعَةِ الَّتِي يَرْجُو تَحْقِيقَهَا وَإِشَاعَتَهَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ، أَتَجْلِسُونَ؟ لِمَاذَا؟ لِأَنَّ هَذِهِ الْمَجَالِسَ طَرِيقُ اجْتِمَاعِيٍّ مُؤَثِّرٍ وَعَظِيمٍ لِلتَّزَوُّدِ وَالصَّلَاحِ وَمُخْتَلَفِ الْخَيْرَاتِ الْجِسَامِ.

وَأَكَّدَ فِي ذَاتِ الْحِينِ، عَلَى مُسْتَوَى التَّعَلُّمِ وَنَيْلِ الْخَيْرِ وَإِشَاعَتِهِ يَلْزَمُ أَنْ يَخْتَارَ الْمُؤْمِنُ الْمَجْلِسَ بِمَعْيَارِ الصَّلَاحِ وَالْعِلْمِ لَا الْمَقَائِيسِ الْمَادِيَةِ وَالْوُجَاهِيَّةِ؛ فَ«لَا يَكْمُلُ الْعَقْلُ إِلَّا بِاتِّبَاعِ الْحَقِّ»<sup>٤١</sup>، وَمُجَالَسَةُ الدَّنَاءَةِ شَرٌّ، وَمُجَالَسَةُ أَهْلِ الْفُسُوقِ رِيَّةٌ<sup>٤٢</sup>، وَأَنْتَ خَبِيرٌ أَنَّ عَكْسَ مَقَالِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ هَذَا نَتَاجَهُ بِالْعَكْسِ.

## لِمَنْ نَسْتَمِعُ؟ وَهَلْ نَقْتَصِرُ عَلَى الْحُضُورِ لِهَيْئَةٍ مُحَدَّدَةٍ مِنَ الْخُطْبَاءِ وَالْمُحَاضِرِينَ ..؟

هَذَا التَّسَاوُلُ كَبِيرٌ وَمُهِّمٌ جَدًّا؛ فَهُوَ مِنَ الْمَسَائِلِ الْإِبْتِلَاقِيَّةِ الشَّائِعَةِ وَالشَّائِكَةِ فِي ظِلِّ الصَّرَاعَاتِ وَالتَّعَدُّيَّاتِ، وَالتَّمَوُّجَاتِ وَالْمُنْعَطَفَاتِ الَّتِي تَوَاجِهَ الْإِنْسَانُ سَيِّمًا الْمُبْتَدِئِ، سَوَاءً عَلَى الْمُسْتَوَى الْمَصْلُحِيِّ وَالْأَهْوَائِيِّ الْخَاصِّ بِالنَّفْسِ أَوْ مَصَالِحِ وَأَهْوَاءِ الْآخَرِينَ، فَالْجَوَابُ عَلَيْهِ لَيْسَ بِالْأَمْرِ السَّهْلِ؛ فَهُوَ يَحْتَاجُ مِنْ كُلِّ إِنْسَانٍ التَّدَبُّرَ فِيهِ جَيِّدًا، وَالْإِجَابَةَ عَلَيْهِ إِجَابَةً وَاعِيَةً وَوَاضِحَةً بِاقْتِنَاعٍ كَامِلٍ دُونَ تَسَاهُلٍ أَوْ تَسْوِيفٍ؛ ذَلِكَ لِأَنَّ الْجَوَابَ كَفِيلٌ بِصَلَاحِ مَنْهَجِ الْإِنْسَانِ أَوْ ضَيَاعِهِ؛ فَإِنَّ وَقَعَ عَلَى الْجَوَابِ السَّلِيمِ وَاعْتَنَقَهُ عَامِلًا بِهِ صَحَّ نَهْجُهُ وَاسْتِقَامَ سَبِيلُهُ نَحْوَ الْكَمَالِ وَالْخَيْرِ، وَإِلَّا فَالْعَكْسُ يَنْتُجُ خِلَافًا وَمَنْهَجًا ضَلَالِيًّا وَتَعْصَبًا وَعُنْصَرِيَّةً يَتَوَلَّدُ عَنْهُمَا صِرَاعٌ نَفْسِيٌّ خَطِيرٌ وَإِرْهَابٌ -وَالْإِرْهَابُ عَلَى أَنْوَاعٍ- وَتَمَرُّقٌ وَقَتُّكَ ..، بَيْنَمَا جَمِيعُ هَذِهِ الْمَعَانِي الْمَخُوفَةُ الْبَائِسَةُ لَيْسَتْ مِنَ الدِّينِ وَالْهُدَى وَالتَّوَدُّنِ وَالْإِهْتِدَاءِ.

<sup>٣٨</sup> المحاسن، لأحمد بن محمد بن خالد البرقي: ج ١ باب الاحتياط في الدين والأخذ بالسنة ص ٢٢٠ ح ١٢٧ - الكافي، للشيخ الكليني: ج ١ باب النوادر ص ٤٩ ح ٨.

<sup>٣٩</sup> نهج البلاغة، صبحي صالح: ص ٥٧ - غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٢.

<sup>٤٠</sup> انظر غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٢.

<sup>٤١</sup> أعلام الدين للدليمي: ص ٢٩٨.

<sup>٤٢</sup> وسيلة المال: ص ١٨٣.

ثمَّ عندما نَتحدَّث عن الخطيب فلا يعنى أنَّ المقصود به ذلك المتحدث والناعى على المنبر فحسب، وإنما أقصد به عُموم مَنْ يتصدى للمنبر الحسينى، سواء كان مُلقياً من هذا النوع أم رادوداً ومُنشِداً... فأقول:

اختر الخطيب والمُحاضر الذى يحترم عقلك؛ والخطيب أو المحاضر الذى يحترم عقول جمهوره والمستمعين هو ذاك الذى لا يتكلم كلاماً إرسالياً بتلقائية، ولا يؤدّى المهمة ارتجالياً دون تحضير مسبق، وعندما يتكلم يشدُّ كلامه بالدلائل والبراهين وبالصورة المتناسبة والوافية، ويعمل بما يقول، وعندما يُناقش يتسع صدره لمن وَضَعَ وقته بين يديه وسلَّمه عقله ومعقوله، مستعداً لا يتحرَّج من المتحقِّق مادام يَنفَح عن دليل، بل يَنْتَشِق سروراً وتشجيعاً ويستلذ إن كانت غايته فعلاً الإرشاد والتفهيم والتقويم وبناء مُبتَغِيه، هذا الخطيب هو الخطيب الذى يحترم عقول الآخرين.

فى الصُّروح العلمية الحرَّة إذا أراد طالب العلم اللَّبيب أن يَدْرُس مادَّة أو كتاباً علمياً لدى شيخ ما؛ فإنه أولاً يبادر بالتَّحرُّى يسأل عنه من عدَّة أشخاص، وليس من أى شخص كان، فيسأل عنه من رفاقه تارة، ومن الطُّلبة الذين سبق لهم أن دَرَسوا لديه، ويسأل عنه من الناحية الأخلاقية والعملية ومن الناحية العلمية ومن الناحية الفنِّية، وعندما يبلِّغ طالب العلم -مثلاً- مرحلة بحث الخارج الذى هو أعلى مراحل الدِّراسة الحوزوية فإنه يحضِّر دُرُوس مجموعة من الفقهاء المجتهدين ليُشَخِّص بنفسه أيُّهم اللائق بأن يسَلِّمه وقته الثمين ومجهوده ويضع فى يده بقية مشواره العلمى؟ أو بالتعبير الدارج يسَلِّم لحيته لمن؟ فهو يتخيَّر الأستاذ المناسب من خلال هذه العملية الشخصية التحقُّقية. هكذا تماماً ينبغى للمستمع أن يستظهر بنفسه الخطيب المناسب؛ ففى بداية مستواه المَرَّحلى الأول يسأل ويستفسر، وفى مراحله المتقدِّمة يعاين ويتحقَّق بنفسه ووجدانه مع تمام الحذر من الاغترار والانخداع.

إذا أخذت طريقك نحو الاستظهار والتشخيص؛ فعَلَيْكَ أن تتجنب عبَاد الشُّهرة من الشَّكل المذموم والذين يغلب عليهم طابع التَّشاؤم والشعور السلبي الذى يَكْبَلُك بالخمول والفُتور ويجعلك محكوماً لمشاعرهم السوداء والذين لا شُغلَّ لهم سوى تسقيط العلماء وتشويه مقاصدهم والتشكيك فى أهدافهم، والذين أحاديثهم متكرِّرة لا جديد فيها ولا جدوى، ومن لا يحقِّق أقواله قبل طرحها وبَنَها، والذين ابتَلَّت أنفسهم بمرض النَّقْد؛ فالنَّقْد أمرٌ مهمٌّ وضرورى، لكنه إذا وصل إلى ما يُمْكِن أن نطْلُق عليه مسمًى "النَّقْدُوبِيا"، وصل إلى حالة مَرَضِيَّة؛ فإنه يتحول إلى داء فَتَاك مُنْهَك يقضى على كل شىء، وأول ما يفتك به الهوية والتُّراث، اللَّذَيْن لا يُتَمَنَّان بَتَمَن.

ابحث عن الممتلئين حيوية ونشاطاً، الذين تشعر بالاستماع إليهم أن طاقاتهم الجَيَاشَة تَنْتَقِل إليك وتُحس ببركاتهم فى روحك وجوارحك وأدائك، فكلُّهم طموحٌ يشحن شهيتك المعرفية نَهْماً وتزودُ منهم ما يشعرك بلذة العلم ويشحذُ هِمَّتَكَ بالاندفاع والعطاء والهيجان والعمل فى لحظاتك وأيامك القادمة، فالذى لا تعثرُ منه على أثرٍ تغييريٍّ إيجابىٍّ بارزٍ فى نفسك ومستقبلك ولا يَمْتَلِك أن يُولِّد فىك هذه الطاقة فاقِد ذاتياً لها لم يُولِّدها فى نفسه فكيف يُولِّدها لديك؟ لهذا غالباً تجد تلامذة الأستاذ النُّشيط البارِع مثله تنغمس فيهم صفاته وتبرز عليهم فيكونوا مؤهلين لحمل مشعلِهِ ومواصلة المسير بالإبداع المتجدِّد والعطاء المتنوع، بينما الذى لا يُولِّد فىك هذه الطاقة فهو غالباً -أقول غالباً لا دائماً- لم يُولِّدها فى نفسه، فلم يَنْفَعه علمه ولا تَوَثَّر فيه أقواله؛ وما ذلك إلا لأنَّ النفس البشرية باعتبارها كياناً واحداً فى الجميع فهى من حيث استقطابها الأولى تَطْبَع -فيمن قَدَّم لها ذاته وسلَّمها إيَّاه- ما تحمله من طاقاتٍ وتمائزات، إلا ما نَدَّر وشَدَّ، فليَكُلَّ قاعدة نوادرٍ وشواذٍ، اللهم إلا أن يكون الطَّرَف المقابل أرضيته غير مؤهلة تكوينياً -كالطفل الغير مدرك- أو كيانياً -كالمُلوَّنة نفسه بالشوائب المانعة عن التَّلَقُّى مثيل الشَّواغل الذَّهنيَّة أو كثرة الدُّنُوب والمعاصى- غاية الأمر أن المُرَبِّى القدير هو مَنْ يَعْرِف عادةً مَكَاِمِ النُّقص ومن أين يَدْخُل إلى هذه المُلوَّثات فيُنقِّيه ويعالجها إن كانت تُقْبَل العلاج مادام صاحبها أَقْبَلَ عليه؛ فليس القُصور أو النُّقص دائماً من المَعْلَم؛ فالمنشأ أيضاً تارة قُصورٌ فى نفس المتلقى أو تَقْصيرٌ منه.

ولِيَحْذَرِ المستمع المتحقق أن يَخْدَعَ بالحاسدين والوُشَاة الذين يُشَوِّهون صورة بعض الدعاة المؤمنين العاملين المتفوقين؛ فإنه كثيرٌ ما تنشأ هذه المصائب العظمى لدى كثيرين بفعل اختلافاتهم الشخصية الخاصة البعيدة عن الجانب العلمي العام فتتسحب على المسؤوليات العلمية أو يبتلى شخصٌ بمناقسةٍ ما أو لأنه لم يدرُس مع فلانٍ في مدرسته الدينية أو وفق حُطَّتِهِ الدَّرَاسِيَةِ فينعكس عليه مستقبلاً بالسوء...! فإن انخدع المتحقق بهؤلاء الحاسدين والوُشَاة كان هو الخاسر الأكبر وصار العصا التي تضرب بغير إرادة؛ إذ ما أكثر أن يذهب على المتعلم من الخير الكثير بفعل أصحاب النفوس الضيقة الذين لا يراقبون الله في أنفسهم وينافسون للضر ولا يترفعون عن الوضيعة ولا يتحلون بالمسؤولية ويمدّدون الخلافات العارضة إلى غير مواضعها المستدامة ويكبرون الصغائر فيغرسون في هؤلاء الناشئة الذين لجؤوا إليهم لهدايتهم الثُغُور من العلماء أو من بعضهم دون سببٍ يُدْعِئُهُ الناشئ بنفسه وإنما فقط لأنه سمع من فلان، وربما فلان أيضاً سمع من آخر، وتستمر السلسلة طويلاً بلا طائل! والضحية هو هذا الذي حُرِمَ بفعل سماعه لرأيهم واتباعه لهم دون أن يُكَلِّفَ نفسه عناء التحقق بنفسه! وربما ذاك الذي حَكَمَ لم يفهم ما قاله المُلقى فنقل فهمه الخاطئ وأشاعه بين هذا وذاك معتبره الفهم الصحيح بينما الفهم من الأصل لم يكن في محله! وربما هذا الآخر أشاع الأمر بدوره كالأول فصار هو الآخر عالة أخرى وأشيئاً ينقل هذا البلاء منه إلى غيره! وهكذا يسير الداء ويستشري في "المجتمع المصادف" قوةً وضعفاً حسبما تأتي به المصادفات! يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«مَنْ أَرَادَ أَنْ يَصِيحَ الصِّدْقَ»<sup>٢٢</sup>؛ فإذا سمعت الشناء أو الذم اذهب تحقق بنفسك، ولا تتبّع ما لا يعينك، ولا تبغ غير ما ينفع، ولا تقتحم عورات الناس، ولا تنكشف الأستار وتهتك الحرّامات، فإنه من تتبّع عورات الآخرين تتبّع الله عورته، ومن تكشف حرّاماتهم كشف الله حرّاماته ولو في قعر داره. لماذا تجعل من نور العلم ظلمة عليك؟ فإن العلم نور، لكن النور كما له كمالات نورانية له أيضاً حُجُبٌ نورانية خطيرة ومخيفة؛ أما ترى البرق يحمل النور ويضيء الآفاق؟ فلا يَسبُخُ يخيف أكثر النفوس؟ هل لأنه نور يضيء أم لأنه فاتك؟ فالنور شيء جميل؛ أما نور البرق فهو بالتعبيرات المنطقية -مع ما يحمله من الفتك وطبيعة البرق- نورٌ مُشَكِّكٌ ليس كالضياء النوراني الخالص المؤنس للنفس وإن كان البرق في حقيقته مُفِيداً من جوانب أخرى أيضاً؛ فلا تجعل من ضياء العلم ونورانيته حجاباً ظلامياً عليك فتخذل نفسك ويخذلك الله.

### أَسْرُ الذَاتِ لِفَتْنَةٍ وَضُرُورَةُ النَّقْدِ الْعِلْمِيِّ:

وإياك أيها اللبيب أن تسير على نسقٍ جهةٍ واحدةٍ ومسلِكها؛ بحيث لا تحضر إلا لتلك الجهة وأتباعها ومروّجيه وتغلق عقلك وقلبك عن الاستماع لمن يختلف معها؛ فإن الشر الفكري كلّه مطوّى في هذه المصيبة التي هي رأس المصائب وآفة الآفات وأُمُّ المَهِالِكِ، وما سلكَ منطقتها إنسان إلا هلك، وما خضع لها مجتمعٌ إلا دُمّر، وما اعتنقتها أمة إلا صارت للضياع المقيت والتخلف المرير، أجراس قلبك وتلايب عقلك للجميع واستمع وابتحث وتفحص طوال هذا العمر الثمين الذي منحك الله إياه لتحقيق في الحقائق وتبلّغ مناقبها، فأنت المسؤول الأول أمامه تعالى لماذا اتبعت الرأي الكذائي ولم تتبّع الآخر؟ فأنت كيف تتفحص الضرورات دون أن تطّلع على متغايراتها! وكيف أمكن لك أساساً أن تعتنيق دين محمد والقرآن والإسلام دون غيره لو لم تكن فتحت أولاً سمعك وقلبك وعقلك له؟

وحتى مسألة "إتلاف مادة الفساد أو إتلاف كُتُب الضلال" التي يبيحها الفقهاء، فهي في حدود خاصة جداً، وليست أمراً عاماً يتعلّق بالضرورات والمعارف الآتية فيما بعد من هذه الضرورات بعد ثبوتها، وإلا لماذا نعتب المُلحد بعدم اطلاعه على الفكر الإلهي أو

اعتناقه؟ ولماذا نعاتب المسيحي واليهودي والبوذي والياني وغيرهم لعدم نظرهم في الإسلام أو عدم اتباعهم له؟! ولماذا نعاتب السنّي لعدم نظره في مبادئ مذهب أهل البيت عليهم الصلاة والسلام أو عدم اعتناقه له؟ ولماذا نعاتب الشيعي بعدم نظره أو اتباعه لمذهب أهل السنّة والجماعة...! أليس لأنّ استيعاب الآخرين ومطالعة ما لديهم وإخضاعه للبحث والتحقيق بصدق واجب على كل فرد؟ فما بالك بما إذا كان المتحدث أو الخطيب ينتمي لنفس مذهبك وداثرتك الخاصة؟ كيف تتجنب الاستماع إليه والنظر فيما يقول والتدبر فيه فتقتصر بنفسك على تيار محدّد وجهة خاصّة تستمع إليها وخذها دون غيرها! من أين عرفت أن تلك الجهة التي اخترتها هي المصيبة للحقيقة والحق وأنت لم تسع آراء الآخرين بالسّمع والفحص؟

كلّ من يقول لك استمع لنا فقط ولا تستمع للفئة الأخرى؛ فهو إما شخص مخادع متكبر على هذه الحقيقة الجليّة يتعامى ويعميك عنها أو شخص مغلوب على أمره يعاني مرضاً فكرياً وأخرى أن يلتبس لنفسه العلاج لا أن يؤخذ عنه.

أيها العزيز، روى أنّ «أعلم الناس أعلمهم باختلاف الناس»؛ فلا تخف من تعريضك أفكارك للزلزال والغرايل واستماع النقد لِمَا لديك إن كنت تمتلك إيماناً يقينياً به عن دليل متين راسخ فتمتحن مدى قوّة أفكارك وسلامتها وتماسكها، وإلا فإنّ الله تعالى لا يرغب منا بالعقائد المتزلزلة بهذه الصورة، كن شجاعاً نشطاً دون ملل أو كلال ما حييت، وتحلّ بأخلاق الاختلاف واعلم أنه لطف ورحمة من الله تعالى للتقدّم ولذّة بشرية عظيمة لعشاق المعرفة، وأنه لو كان كل شخص يختلف مع آخر عليه أن يلغيه لَمَا بقي من الخلق أحد إذ لا يوجد إنسان إلا ويختلف مع غيره، بل إن الإنسان يختلف أحياناً حتى مع نفسه، فهل يتبرأ منها أو يتنحّر بقتلها؟

كنّ على دراية تامة بأنّ الله تعالى يحاسبك على يقينك؛ فإذا بدلت مجهودك الجيد فتوصلت لحقيقة تيقنت بها؛ فإنّ الله عز وجل سيتقبلها منك ولن يعاقبك عليها وإن كانت في الواقع خاطئة، بل لو عملت على خلافها فحينئذ تكون مستحقاً لنكاله وتشنيعه وعقوبته؛ ألا ترى أن الفقهاء - كل الفقهاء - ينصّون على أنه لو مثلاً اعتقد شخص بصحة صلاة السنّي وبطلان صلاة الشيعي، فامتثل صلاة الشيعي بلا علة مقرّرة مقبولة في الشرع فإنّ صلاته تكون باطلة وعليه إعادتها بالإتيان بصلاة السنّي حتى لو كان في علم الله صلاة الشيعي هي الصحيحة المطلوبة؛ ذلك لأنه نوى العبادة بنية لا يمكن تحقّقها؛ حيث تقرب لله بما يعتقد أنه ليس هو المقرب له عز وجل فعصاه بالإتيان بغير الصلاة التي اعتقد أنها هي التي أمر بها.

إنّ الذي يحضر عفواً في أي مجلس أو يحضر في المجالس بمعيار الأقرب إلى داره غير ملتفتٍ لكهذا توجهه، فحاله أحسن بكثير جداً من حال ذاك الذي تخطو قدمه على وزان الانحصار بالاستماع لجهة خاصّة محدّدة متحاشياً الحضور لمجالس غيرها. لكن هذا أيضاً لا يعنى مُجالسة كلّ أحد، فلست أقصد أن لا ننبتذ الباطل والمنحرفين المتقلّبين على الأعراف الإنسانية والعقلانية...، حتى وإن تلبّسوا بلباس العلماء ومنطقي العقلاء؛ فإنّ -مثلاً- الخوّة والظلمة ومن اتّضح لك انحرافهم بنحو مجحف لا يمكن تبريره، أو ألئك الذين يفتعلون المشكلات من لا شيء أو من الأمور التي لا ينبغي أن يكثر لها أو أن لا نغمم إلى خارج نطاقها اللائق بها؛ هؤلاء -لا ريب- عليك نصّحهم إن كنت أهلاً لذلك وإلا فجاوبهم بأن لا تكثر سواد الحاضرين لديهم ولا تقوّ شوكتهم، ومن يكثر خطؤه أو يتبوّأ مقعداً عظيماً لا يليق بشأنه عامداً ومكابراً؛ فهذا الواقعة فيه بعد فسوقه العام أولى بل أوجب، ولكن دون تجاوز مِخل، وهذا قطعاً بخلاف من لديه اختلاف معك في الفكر بناءً على دليل علمي ثبت عنده، وبخلاف من يُعمل اجتهاده ويكثر صوابه ويقل خطؤه ولا يعتمد ارتكاب الباطل أو يخطئ خطيئة خاصة متلافياً الفسوق العام فهو محقّقون السُّمعة...؛ فإنه يُصار معه للاحترام المتبادل والنفاس العلمي بودّ كامل، فضلاً عما لو لم تكن صاحب رأي وكنت مجرد مستمع تريد التعلم والتعرّف على ما لدى أهل الاطلاع والرأي من أبحاث ووجهات نظر.

وكذا بخلاف النّقد العلمي المعتدل؛ إذ النقد البناء مطلوب على كل حال ومن المراتب الشريفة للأكفأ العاملين المتحمّلين لواجباتهم الإلهية والاجتماعية؛ ولهذا يجد المتنبّع أن الفقهاء رضوان الله عنهم يحثّون المكلف على تشخيص الأعم والأعلم والسؤال من العُدول والثقات وذوى الخبرة وغيرهم من مُعيّنات الشّياع، وما ذلك إلا لكونه فعلاً راجحاً مطلوباً مادام يسير وفق آياته العقلانيّة.



## وجوه ومبدأ الأورعية:

ربما يَصْغُلُ خطيبٌ أو مُحاضِرٌ قِوَى غيرك فهو مفيد لحالة ذاك؛ أما أنت فليس هو ضالتك التي تَبْحَثُ عنها ولا مَنْ تحتاجه وتَتَعَقَّبُه في هذه المَرحَلة.

فلو فَرَضْنَا خطيباً أنت لا تَفْهَمُ ما يَقُولُ؛ فلماذا تتلف وقتك بالاستماع إليه في حين يوجَدُ خطيبٌ آخر تَفْهَمُ كلامه ولديه الجديد المفيد الذي تَفْتَقِده؟! بادِرْ فوراً لهذا الآخر ولا تَكْثُرْ بما يَدُورُ حولك من كلام المتباهين الذين يَتَفَاخِرُونَ بالفهم، أو الذين يَحْضُرُونَ لاستماع الخطيب الأول وهم لا يَفْهَمُونَ حديثه!

وإذا كان مثلاً الخطيب الفلاني مهتماً بمسائل مُعَيَّنة كالفقه، وأنت متعطشٌ لأن تروى روحك؛ متعطشٌ للأبحاث التي تعالج النفس أو العقيدة؛ فالأخرى بك أن تُقدِّمَ الثاني على الأول.

ورأود المَجْلِسُ الذي خطيبه يَمْتَدِّحُ الخير ويشيِّدُ به ويُشجِّعُ عليه ويدعو إليه ولا يَجَامِلُ في الحق ولا يَخْشَى قوله ويَحْقِرُ الفساد والباطل معتدلاً كما كان يفعل رسول الله وأئمة الله عليه وعليهم أفضل التَّحِيَّةِ غير مُدَارٍ فيه القريب أو البعيد ولا صاحب المال ولا أرباب الجاه، يَنْهَى مَنْ عَمَّقَ قلبه بوفاءٍ عن حُبِّ، ولا يَغْرَى ولا يَمُوهُ على الباطل ولا يُجَمِّلُهُ ولا يَصْمَتُ عنه فيغري به ولا يَهْدِي الظالمين باستغلال المَوْضِعِ على حساب الله ورَعِيَّتِهِ سبحانه، فعن إمامنا أبي عبد الله الحسين صلوات الله وسلامه عليه قال: «مَنْ أَحَبَّ نَهَاكَ، وَمَنْ أَبْغَضَ أَغْرَاكَ»<sup>١١</sup>.

وتَخَيَّرَ الأَوْرَعُ؛ أي الأكثر تَحَوُّطاً في الشبهات والشكوك والمسائل الخلافية الغير واضحة له، فَإِنَّ الأَوْرَعِيَّةَ التي هي مَنَاطُ عَقْلَانِيٍّ مهم في تعيين الفقيه المقلِّد بعد تَكَافُؤِ الفقهاء في الأعْلَمِيَّةِ، لا تَنْحَصِرُ بحال التقليد فحسب، بل تَعْمُ الخطيب والمُحاضِرُ ومن تريد أن تَتَلَقَّى عنه العِلْمَ.

وتَجَنَّبَ المَوَاقِبَ الرَّخِيصَةَ وَمَجَامِيعَ العِزَاءِ المَتَدَنِيَّةِ والمَشْبُوْهَةِ التي تَتَقَوَّتُ على جِرَاحِ إمامك الحسين عليه الصلاة والسلام وأهل بيته وأئمة الهدى؛ كتلك التي تَسْتَعْمِلُ الأطوار الرَّقْصِيَّةَ وأساليب المطربين وملابس أهل الضلال وضوَّهم بعناوين مغلوبة يَدْرُونَ بها طَمَعاً بانحطاطٍ منهم أو لا يَدْرُونَ بِقِلَّةِ وعيهم وجفائهم التَّقْصِيَّ وعدم تَوَارِيهِمُ عن المَشْبُوْهَةِ، فَإِنَّ الإمام الحسين إن كان قُتِلَ في كربلاء مَرَّةً فهؤلاء يقتلون الإمام الحسين ومشروع الحسين وآل الحسين والمذهب والدين في كل حَدَثٍ ومناسبة، وليسوا بأقل شناعةٍ مِنْ قَتْلَتِهِ الأوائل؛ فكيف تشاركونهم متلقياً ما يصدر عنهم بالرضا والتأييد!

ما أكثر المَوَاقِبَ السَّائِرَةَ على المَنْهَجِ الواضح الصحيح والمَجَامِيعِ العِزَائِيَّةِ المَتَحَرِّزَةِ الثَّابِتَةِ على الوَرَعِ والتَّقْوَى، التي تَلْتَهَبُ أشعارها في النفس راحةً وروحانيَّةً، وتَفِيضُ بك كُلَّ إحساسٍ رفيع، فَلَتَكُنْ هذه مَوَاطِنَ إِنْخَاتِكَ وَمُنَاصَرَّتِكَ.

فإِنَّكَ إذا بَدَّلْتَ سعيك في كل ذلك بصدقِ نفسٍ ونقاءِ خاطرٍ سَيَأْخُذُ الله تعالى بِيَدِكَ لا مَحَالَةَ وَيُسَدِّدُكَ نحو الفلاح والتوفيق الأعظم الذي يَطْمَعُ به الثَّلَّةُ مِنَ العُرُوجِيِّينَ السَّالِكِينَ المُنَاضِلِينَ في مَيَادِينِ النُّفُوسِ وَمَكَارِعِ الكُؤُوسِ.

## مِصِيدَتَانِ شَيْطَانِيَتَانِ:

على هذا الطريق هنالك مَصَائِدُ شَيْطَانِيَّةٌ كَثِيرَةٌ تَنْتَظِرُ السَّالِكَ؛ بَعْضُهَا وَاضِحٌ بِأَبْسَاطٍ تَوَجُّهُهُ أَوْ بَشَى مِنْهُ، وَبَعْضُهَا يَحْتَاجُ لِنُجُوهِ كَثِيرٍ، وَهَذَا أَعْرَضُ لاثْنَيْنِ مِنْ تِلْكَ الَّتِي غَالِبًا حَسَبَ تَجْرِبَتِي الْوَضِيعَةِ وَمَا عَيْنَتْهُ تَكُونُ شَدِيدَةً الْخَفَاءَ عَلَى كَثِيرِينَ عَسَى أَنْ يَجِدَ فِيهِمَا إِخْوَتِي مَا يَنْفَعُ:

### المِصِيدَةُ الْأُولَى (على صَعِيدِ مَسَارِ الشَّانِ الْحَيَاتِي):

مَا مِنْ شَيْءٍ نَرَاهُ فِي وَجُودِنَا إِلَّا وَلَهُ مَنَشَأٌ مَنْطِقِيٌّ وَمُثَلٌّ عُليا يَرْتَكِزُ عَلَيْهَا تُظَلِّلُهُ ظِلُّ الْحَقِيقَةِ لِلْمِصْدَاقِ وَالصُّورَةِ الْمَطَابِقَةِ لَهَا، وَحَتَّى الْفِكْرَةُ الْخَطَأُ، فَهِيَ نَتَاجُ مَرْتَكِزٍ مَنْطِقِيٍّ أَلْفَهَا، عَنْهُ تَبَلُّوْرَتْ مِثْلًا أَوْ مِنَ الْغَيْرِ، فِي ذَوَاتِنَا أَوْ أَمَامَ نَوَاطِرِنَا.

وَفِي كُلِّ سَاحَةِ عِلْمِيَّةٍ مُحْتَدِمَةٌ بِالتَّيَّارَاتِ الْفِكْرِيَّةِ وَالتَّعَدُّدِيَّاتِ الْعَقْلِيَّةِ وَالِدِينِيَّةِ وَالْإِنْسَانِيَّةِ الْعِرْقِيَّةِ وَالْعُرْفِيَّةِ الثَّقَافِيَّةِ وَالْفَنَوِيَّةِ، لِابْدُ مِنْ نُشُوبِ صِرَاعَاتٍ مُحْتَدِمَةٍ وَتَغَايِرَاتٍ مُتَضَادَّةٍ؛ فَالْتَضَادُّ فَرْعُ الْاِخْتِلَافِ، وَالْاِخْتِلَافُ فَرْعُ التَّضَادِّ؛ فَهُمَا مَفْهُومَانِ مُتَضَافَانِ؛ مَتَى فَرَضْتُ أَحَدَهُمَا فِي ذَهْنِكَ حَضَرَ الْآخَرُ، وَطَالَمَا كَانَتْ السَّاحَةُ الْعِلْمِيَّةُ وَالْحَيَاتِيَّةُ مَعْرِفِيًّا وَثَقَافِيًّا وَعِرْقِيًّا أَكْثَرَ تَضَادًّا كُلَّمَا احْتَدَمَ الصَّرَاحُ وَاتَّسَعَ، وَكُلَّمَا اتَّسَعَ الصَّرَاحُ أَثْرِيَتْ مَنَابِعُ الْإِنْسَانِ وَمُكْتَسَبَاتُهُ وَمَعْرِفَتُهُ وَمَكَاسِبُهُ، وَكُلَّمَا أَثْرِيَتْ كُلَّمَا أَخَذَتْ عَجَلَةٌ التَّقَدُّمِ وَالنَّمُو نَحْوَ الْبُرُوعِ تَشَعُّ بِمَفَاتِحِهَا الْجَمَالِيَّةِ وَرَوْنَقِهَا الْفَاخِرِ وَضِيَائِهَا الْمُسْتَنِيرِ وَلِذَاذِهَا الشَّيْقَةِ؛ هُنَالِكَ يَكُونُ الْإِنْسَانُ مُصْدَاقًا أَجْلَى لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [الْعَلَقُ ١]. يَبْقَى أَنَّ هُنَالِكَ بُرُوزَاتٍ نَرَاهَا عَلَى السُّطْحِ، وَتَكُونُ ذَاتُ صَدَمَاتٍ مَعْرِفِيَّةٍ قَوِيَّةٍ لَا يَحْتَمِلُهَا الْإِنْسَانُ عَادَةً، مَعَ أَنَّهُ يَنْبَهِرُ بِهَا أَيْضًا كَتَلِكِ، لَكِنَّا لِأَنَّهَا تَمَسُّ صَمِيمَ كِيَانِهِ الْإِنْسَانِيَّ؛ لِذَا يَتَوَجَّعُ مِنْهَا وَيَنْفِرُ وَلَا يَجِدُ فِيهَا تِلْكَ اللَّذَّةَ. وَهُوَ حَقًّا مُحِقٌّ وَإِلَّا لَاتَّصَفَ بِالْفَرَعْنَةِ وَالْجَلَّافَةِ وَالْقَسْوَةِ وَخَرَجَ عَنْ حَدِّ الْحَسَنِ الْإِنْسَانِيَّ إِلَى الْحِسِّ الْبَهِيمِيِّ الْإِجْرَامِيِّ الَّذِي لَا يَتَوَقَّرُ إِلَّا فِي سَبَاحِ الْغَابَةِ وَوَحُوشِ الْبَرَارِيِّ الْغَيْرِ مُسْتَأْلَفَةٍ وَمَنْ اقْتَرَفُوا عَظَائِمَ السَّيِّئَاتِ الْآثِمَةِ وَبَاتَ حَقُّهُمْ عِنْدَ انْعِمَاسِهِمْ فِي الْمَجْتَمَعَاتِ الْأَلِيفَةِ وَالْأُمَمِ الْإِنْسَانِيَّةِ: الْأَقْفَاصُ وَالْقَصَاصُ.

هَذَا لَنْ أَتَحَدَّثَ عَنِ الْوَجْهِ الثَّانِي؛ لِأَنِّي أَيْضًا مُبْتَنِيٌّ مِنْهُ وَلَا أُوَدُّ أَنْ أُدْنِسَ بِهِ هَذِهِ الصَّفَحَاتِ؛ حَيْثُ لَنْ تَجِدَ الْبَشَرِيَّةَ تَفْسُخًا يَتَجَسَّدُ فِيهِ النَّجَسُ النَّفْسِيُّ وَالشَّيْطَانِيُّ أَسْقَطٌ وَأَتَعَسَّ مِنْهُ، فَحَالُهُ مَعَ وَضُوحِهَا لِكُلِّ إِنْسَانٍ وَصُورَتِهَا الْبَلْهَاءُ لَيْسَتْ بِحَاجَةٍ لِتَضْيِيعِ الْوَقْتِ فِي وَضْفِهَا وَإِنْهَاكِ الْأَنَامِلِ، فَلَيْسَ مَوْضِعُهَا إِلَّا الْقَسْوَةُ الْقَاسِيَةُ الَّتِي قَسَتْ وَتَقَسَّوْا بِهَا عَلَى أَبْنَاءِ أَبِيهَا الْوَاحِدِ آدَمَ وَرَحِمَهَا الْوَاحِدِ حَوَاءَ، فَهَلِ السَّفِيهِ يُحَاكِي وَالْأَحْمَقُ يُجَارِي، وَهَلِ السَّفَهَ يَحْتَاجُ لِإِفْصَاحٍ وَالْحَمَقَ يَحْتَاجُ لِإِيضَاحٍ! فَافْهَمْ.

الْوَجْهِ الْأَوَّلُ؛ وَأُطْلِقُ عَلَيْهِ "وَجْهَ الْقَلَمِ الْإِلَهِيِّ" أَوْ "وَجْهَ الْقَارِئِ الْعُقْلَانِيِّ"، هَذَا الْوَجْهُ الْبَرِّيُّ لِلْإِنْسَانِيَّةِ، مَهْمَا أَخَذَ طَابِعًا مَتَلُونًا بِأَصْبَاغِهِ الْمَعْتَدِلَةِ؛ فَهُوَ مَالِكٌ لِكُلِّ أَوْصَافِ الْمُثُلِ الْعُلْيَا وَيُشَكِّلُ رَسْمَةً فَنِيَّةً طَبِيعِيَّةً مُتَجَادِبَةً مُتَنَاسِقَةً. فَلْيُنْدِعْ فِيهِ الْإِنْسَانُ كَيْفَ يَشَاءُ زَمِنَ ضَوَابِهِ الَّتِي ارْتَسَمَها مَقْدَارُ فَهْمِهِ الْمُتَوَالِفِ مَعَ دَائِرَةِ الْمَأْلُوفِ الْمُحْتَرَمِ يَغْمُرُ الْأَرْضَ وَيَغْمُرُ الذَّاتِ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَغْمَرَكُمْ فِيهَا [هُودُ ٦١].

وَفِي الْمَقَابِلِ هُنَالِكَ شَرِيحَةٌ مِنَ الْمُتَلَقِّينَ، مَسَاحَتُهَا تَشْتَمِلُ غَالِبًا عَلَى الْعَامَّةِ وَكَثْرَةٍ مِنَ الْمُثَقِّفِينَ وَغَيْرِهِمْ، هَذِهِ الشَّرِيحَةُ الْكُبْرَى عِنْدَمَا تَبْصُرُ أَوْ تَلْتَفِتُ إِلَى هَذِهِ التَّضَادَّاتِ الْغَائِبَةِ عَنْهَا تَحْصُلُ لَدَيْهَا انْتِكَاسَةٌ نَفْسِيَّةٌ فَطِيعَةٌ بِالْغَةِ الْإِثَارَةِ، وَلِأَنَّهَا تَوْجِدُ انْتِكَاسَةً خَفِيَّةً الْآثَارَ شَدِيدَةً الْأَهْوَالَ أَخْصَهَا بِالذِّكْرِ وَأَقْفَ عِنْدَهَا مَحَبَّةً أَنْ يَحْدَرَ إِخْوَانِي مِنَ مَخَاطِرِهَا عَلَى وَجُودِهِمْ وَمُسْتَقْبَلِهِمْ لَا أَقْصِدُ بِهَا تَوْهِينًا أَوْ إِقْصَاءً لِنَهْجَةٍ، فَعَلَى سَبِيلِ الْمَثَالِ:

عندما يَعْرِفُ الناس على حقائق أهل العلم والحوزات وما مائلها من المدارس الدينية الأخرى، أو عندما يَعْرِفُ شخص على أَنَّ فلاناً العارف الذى كان لسنين ممتدة يقدسه لم يَكُنْ إلا شخصية مُتَوَارِيَةً خَلْفَ أَسْتَارِ الدِّينِ وعقول المستضعفين، أو عندما يذهب شخص لطلب العلم فيَجِدُ طَلَبَةً عِلْمٍ أَسْبَقَ منه يَتَغَيَّبُونَ عن الدروس أو ينامون أثناءها نومة المعتاد أو يَتَرَكُونَ كتبهم فى أماكن الدرس أو فى زاوية من زوايا المدرسة العلمية تماماً كطلاب المدارس الذين يَتَرَكُونَ كتبهم فى دُرُوج طاولات الفصل المدرسى، أو يُدْمِنُونَ التدخين أو يَبْحَثُونَ عن المال أو لا يذاكرون دروسهم أو يَدْرُسُ بعضهم فى مَرَحَلَةِ المَقَدِّمَاتِ والسُّطُوحِ درساً واحداً فقط وفى هذا الدرس يَدْرُسُ كتاباً يَسْتَغْرِقُ فى دراسته مدة خمس أو ست أو حتى سبع سنوات، أو أَنَّ الحوزة تعطى لطلبة العلم راتباً إقطاعياً بحيث عندما يَحِينُ وقت المُرْتَبِ يَصُفُّ الطلبة صفوفاً ممتدة فى الشتاء والصيف وتحت المطر وأمام أشعة الشمس فى كل شهر ولربما فى بعض الأوقات لأكثر من يومين من كل شهر لأجل أن يَسْتَلِمَ الطالب مِنْ صَفِّ كُلِّ مَرْجِعٍ عشرة رials أو ربما أيضاً خمسة رials وقد تَزِيدُ وقد تَنْقُصُ، أو عندما يَعْرِفُونَ على شدة طبائع العالم الفلانى بعد أن لم يَكُنْ لهم سابق جلوس معه، أو يَتَكَشَّفُ لهم خلافاً أو جَدَلٌ بين فقيهين سواء كان شخصياً أم عِلْمياً، وغير ذلك من الحقائق التى لا يُمْكِنُ التَّعَامَى عنها وهى تَظْهَرُ لهم مِنْ هُنَا وَهَنَا، مِنْ المَتَحَدِّثِ الفلانى أو الخطيب الكذائى أو الكاتب الفلانى أو تَظْهَرُ لَطَالِبِ العِلْمِ المستجِدِّ ..؛ فَإِنَّ الكارثة تَقَعُ على نفوس أفراد هذه الشريحة بالانتكاس والابتئاس، مع أَنَّ هؤلاء الطَلَبَةَ أو العلماء بَشَرٌ مِثْلُنَا، لهم أسبابهم ومبررات أنطَرَقَ لها إن شاء الله فى رسالة أو سِياقَاتٍ أُخْرَى تَلَفِيفاً للخروج عن سِياقِ الكلام هنا، وهى أسباب ومبررات قد نَقَبَلُ بعضها وقد لا نَقَبَلُ بعضها، وهذا الابتئاس -للأسف- يَلِدُ نُفُوراً نفسياً، وليس أى نفور، وإنما يلد نفوراً نفسياً قاتلاً يصل فى بعض حالاته إلى شَطَبِ جهود العلماء من النفس ككل أو اللجوء للتيارات الأخرى أو الإلحاد أو حتى ربما الانتحار العلمى أو الوجودى كما رأينا وَرَى، وليس مِنَ الغريب أن يَنْتِجَ عنه صِراعات مماثلة لداعش ولكن على الطَّرَفِ التَّقْيِضِ، وهى ما يُمْكِنُ أن نُعَبِّرَ عنها الدَّعْشَةُ اللادينية فى قِبال الدَّعْشَةُ الدينية.

هؤلاء الانتكاسيون، قَبْلَ أن يَصِلُوا للحالة السُّخْرَوِيَّةَ وواقع السُّخْرَوِيَّينَ أو لحالة قُطَاعِ الطُّرُقِ أو لحالة الصِّياع والسَّفَاهَةِ وَالْحَمَقِ والمشاعبة والجرائم الآثمة التى لا تَسْتَحِقُّ إلا الأقفاص والقصاص، هُمْ فى مَرَاكِبِهِمُ الأولى يَحْتَاجُونَ للمصالحة بالاهتمام بالباكر والمصارحة الشفافة الصادقة تماماً حتى وإن أَلْهَدُوا عن عِلَّةٍ لا عن خيانة، فكل عِلَّةٍ فَرَعٌ فَعَلَ منطقى مُحِيطٌ بها، ولا مجال والعصر عصرُ النَهْضَةِ وَالْفَضِيحَةِ "عصرٌ لا تَخْفَى خافية"، لا مجال لَوَادِ المَسْتَوْرِ الأَزَلَى لِيَصِلَ مستوراً سَرْمَدِيّاً؛ فَإِنَّ هذه الحالة باتت من الحالات المُتَفَشِّئَةِ التى تَحْتَاجُ حقاً لعلاج شَفَافٍ وملائم وإقناع يَتَكَلَّلُ بالنجاح، والمبْلُغِينَ وَحَمَلَةَ قَبَسِ العلم والتعليم -جزاهم الله جميعاً خيراً- لا يَسُوؤُهُمْ أن تُخَضَّعَ نفسياتهم المتغايرة قُوَّةً وضعافاً وأحوالهم ومستوياتهم المتفاوتة نقصاً وكَمَالاً فِتْوَضَ للتحليل والنَّظَرِ بل وَيُنْظَرُ فى احتياجاتهم الطبيعية كغيرهم من البَشَرِ الذين يشاركوننا الحياة سِيَّما وَأَنَّهُمْ يَتَصَدَّونَ لمَهْمَةٍ كُبْرَى وحساسة تكمن فى تربية المجتمع بِرِمَّتِهِ؛ إذ الاستماع للمَنَابِرِ مفتوحٌ لأى أحد وليس كالفصول الجامعية أو المدارس التخصصية التى تُخَصُّ بِفئات محدَّدة مدروسة ومنظَّمة.

وأنت أيها المتحقِّقُ المُريدُ للعلم الباحث عن المَعَارِفِ النبيلة، عليك أن تَكُونَ على استعداد تام لَسَمَاعِ أى حقيقة، وأن لا تَكُنْ إنساناً إقصائياً ومتمرداً تَحْتَدِمُ بالصراعات وتَسْلُخُ من المبادئ وتَتَنَكَّرُ للمثل وتَضِيعُ الهدف النبيل فتَكْرُرُ ذات الأخطاء التى قَرَعَتْ وَجْدَانَكَ وَوَحَزَتْ أَفْهَامَكَ فتمارس نفس السوء بنفس الشكل أو بشكل آخر دُونَ أن تَشْعُرَ متحاشياً أو أصر التبادلية والاحترام المتبادل فى حدوده الاعتدالية. إِنَّ طريق العلم لأنهم مَشُوبٌ بالعقبات والغُرَابِلِ الكثيرة استَحَقَّ أن يَكُونَ طريق ذات الشُّوْكَه، ولأنه طريقٌ ثمين فإنه لا يُنَالُ بسهولة، الجوهر لا تَبَاعُ بِثَرَابٍ، والثمين يَطْلُبُ الثمين، كما أَنَّ لهذا الطريق مَرَاتِبَ ودرجات، كل مرتبة لَاحِقَةٌ أعظم وأقدس من سابقتها وتَحْتَاجُ لنفسٍ متعاطمة الوعى وإلا لم تَظْفَرُ بها.



قد يحضر إنسان لمَجْلِسِ القراءة والعِلْمِ مستمعاً، ويكون هذا المستمع لديه بعض المعلومات المسبقة، لكنه عندما استمع للقارئ وَجَدَ أنه مخطئ فيما يقول نظراً لتعارض قوله مع ما عنده من معرفة؛ فيحصل لديه ردّة فعل ينتج عنها نفور وإسقاط لكل تاريخ ذلك القارئ على أنه مبّخ قليل العلم وليس أهلاً لأن يمتطى منابر التعليم فيُضِلُّه ويُضِلُّ الناس بجهله؛ بالتالي يقاطع مجلسه وربما شَهَرَ به بين الناس إما بداعى نفس هذا النفور النفسى أو بالدّواعى الأخرى من قبيل حماية الناس من جهله وإرشادهم لاستماع غيره، مع أن هذا القارئ اجتهد ولا يَظْهَرُ عليه أنه يقصد تعليم الناس خطأً، بل وقد يعمّم هذا المستمع حُكْمه على الخطباء كأن يقول: إن الخطباء جهلة يتكلمون بغير علم ودون فهم.

لكن هذا المستمع النّافر المسكين لم يَلْتَفِتْ إلى أنه واقعٌ في مِصِيْدَةٍ حاكها له إبليس فاصطاده بها وغلبه مُمرِغاً أنفه في وحلِ الضّلالة؛ فهو لم يكن يدرى أن الشيطان أراد أن يحجب عنه طريق النور والخير؛ فمجلس العلم فضلاً عن أنه يُراد لغايات وعوائد كثيرة مهمة غير التعليم -والتي منها الذّكرى والتذكّر- يراد أيضاً للتعليم، وإن كان التعليم هو الطابع الأبرز فيه، وما دار مداره فهو من ثمرات نصب مجلس التعليم وإقامته.

وهذا المستمع سواء افترضناه متعلماً من عموم الناس أو مثقفينهم من ذوى التحصيل والمعرفة بدرجة ما أو غيرهما؛ فهو في كل الأحوال مسكينٌ لأنه -لسوء تقليبه الأمور وعواقبها- أغفل حقيقة كبرى مضافاً للفوائد السابقة المرجوة من هذه المجالس؛ وهذه الحقيقة تكمن في غفلته عن أن العالم أو الفقيه -فضلاً عمّن هو أدنى منه- ليس هو ذلك الشخص الذى يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ؛ إنما الفقيه والعالم -كما عبّرت الروايات- هو ذلك الشخص الذى يَقِلُّ خَطْؤُهُ وَيَكْثُرُ صَوَابُهُ؛ أما أنه لا يُخْطِئُ فلا؛ فإنه حتى الملائكة لا يَعْلَمُونَ كُلَّ شَيْءٍ رغم قربهم من الله تعالى وعلو أقدارهم حتى أنهم لما قال لهم عز وجل:

﴿أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ \* قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا بِهَذَا [البقرة ٣١-٣٢] وإلا لو كان الإنسان يَعْلَمُ كُلَّ شَيْءٍ لَخَرَجَ مِنْ مَقَامِهِ البشري المعتاد إلى المَقَامِ الأنبيائي المقتَرَنِ بالعِصمة، بينما الأمر ليس كذلك؛ لذا ورد أنه إن اجتهد فأصاب فله أجران أجرُ اجتهاده وأجرُ إصابته، وإن اجتهد فأخطأ فله أجرٌ واحد هو أجرُ اجتهاده؛ فمع أنه أخطأ لكنه رغم ذلك مأجور، بينما هذا المسكين سَقَطَ مِنْ عَيْنِهِ وَأَنْهَى تَارِيخَهُ وربما وَقَعَ فِيهِ وَدَسَّ سُمْعَتَهُ بِالسَّوءِ؛ فهو واقعاً لم يَحْرَمْهُ وَإِنَّمَا حَرَمَ نَفْسَهُ التوفيق والخير بخديعة أَحْكَمَهَا لَهُ الشيطان غابت عنه.

ومادام العالم يُخْطِئُ، إذا تعاملنا على هذا المنوال؛ فيجب أن لا نَسْتَمِعَ لأحد وأن نُسْقِطَ الثقة بالجميع؛ وبهذا نكون حَقَقْنَا أَجْسَمَ هَدَفٍ لإبليس، فما من غايةٍ ونَصْرٍ لهذا العدو الرّجس أعظم من أن يَحْسِبَ الناس عن أهل العلم والعلماء الذين هم وسيلة ضرورية من وسائل حيازة العلم والمعرفة؛ لذا ورد في صحيحى ابن أبى حمزة وسليمان بن خالد فى فقد العلماء «إذا مات المؤمن الفقيه ثَلِمَ فى الإسلام ثُلْمَةٌ لَا يَسُدُّهَا شَيْءٌ»<sup>٤٥</sup>. و: ما من أحدٍ يَمُوتُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَحَبَّ إِلَى إبليس من مَوْتِ فقيهه<sup>٤٦</sup>، مع أن هذا المستمع هو بنفسه ما يُدْرِيه أَنَّ ما لديه هو الحق الذى لا غبارَ عليه، ربّما كان ما لديه هو الخطأ وما قاله المتحدث هو الصواب إلا أن يكون متيقناً منه عن دراية تامة لا عن التّقاطِ سالفٍ من جهةٍ أخرى وما أَشْبَهَ، بل ما أَكْثَرَ أَنْ يَتَعَلَّمَ الإنسان من الخطأ أو الشك حيث يبعثه ذلك على التحقيق أكثر بعد أن كان راكباً لمعلومه الذى كان يحسبه نهاية الحقيقة والحق الأجلّى الذى لا تدنوه رُبِيَّة؛ فَإِنَّ الشكَّ العلمى -بمعناه الأعم الشامل لاحتمال والظن والشك- هو الجَوْهَرُ للحركة نحو الطَلَبِ المعرفى؛ فهو العُنْصُرُ الأول الدافع بالإنسان للتفكير والتجريب والاكتشاف؛ وما ذلك إلا لأنّ العلم لا يدفع النفس للحركة نحو التعلم واكتشاف الحقائق؛ إذ حسب الفرض هى عالمة بتلك الحقائق فبَحْثُهَا عنها تحصيل للحاصل وتحصيل الحاصل مستحيل وقبيح فلماذا تَبَحْثُ عن تلك الحقائق المعلومة لديها إذا؟!

<sup>٤٥</sup> الكافي، للشيخ الكليني رحمه الله: ج ١ باب فقد العلماء ح ٣ وكذا ح ٢.  
<sup>٤٦</sup> المصدر السابق: ج ١ باب فقد العلماء ح ١ وكذا ح ٤.



وأيضاً الجهل بالشئ كذلك لا يدفع النفس للحركة نحو التعلم والاكتشاف؛ إذ حسب الفرض هي غافلة كلياً عن ذلك الشئ غير ملتفتة إليه فكيف تتعلّق إرادتها به فتبحث عما لا يخطر على بالها أصلاً؟! لا يمكن؛ أما الشك فهو بفعل دغدغته القوية في النفس باحتمال وجود معرفة ما في الأمر فللاني بعد الالتفات الجزئي؛ امتلكت الشك امتيازاً وقوة هائلة لتحريك وإنهاض قوى النفس وتشويقها نحو التوجّه للتنقيب واستكشاف ما تحتل وجوده وخفاءه عنها؛ لذا فإن الشك العلمي عند الإنسان هو المحرك الأوحد للاكتشاف فهو باب العلوم الإنسانية والمعرفة لدى عموم البشرية الأدنى مراتب عن الأنبياء، تماماً كما أن الشك النفسى المنطقى أصل من أصول الحذر.

فالحقيقة كلّ الحقيقة؛ هي أننا نحضر مجالس التعليم لا لأجل أن نتلقّى فحسب، بل لأجل أن نتفكّر فيما نسمع ونبحث عنه أكثر ونتدارسه ونتباحث فيه إلى أن نصل للواقع الحقيقى عن إقرار دلالي متماسك رقيق؛ فإن الحقيقة المطلقة لا يمتلكها أحد منا، والله تعالى إنما يحاسبنا بما لدينا من اليقين والاطمئنان منطقي المنشأ منطقي المبررات، ونحن إذا قدّمنا أهل العلم للكلام والتحدّث؛ فلأنهم الأكثر قرباً من الحقائق بالتفحص الذى بذلوه وأكثر قدرة على إثراء أطلّاعنا وتكثير ثقافتنا وتزويدنا بتجاربهم المعرفية العقلية والجوانحية والعملية الجوارحية؛ لذا عليك أيها المستمع العزيز كى توفّق للتزّد من هذه المجالس المباركة أكثر فأكثر - مع اختيار أفاضلها وعدم غفول منافعها الأخرى - أن تتزيّن بالتواضع فإنه (اثنان لا يتعلّمان: خجول ومتكبر)، وأن تفتح آفاق قلبك سعةً ووعياً واحتراساً عن الأهواء والشيطان الرجيم ممثلاً نشاطاً غير متكيّ فى كلّ حال على غيرك ولا متشائماً من الخطأ ولا متغافلاً عن كثرة الصواب فيما تسمعه لصالح ذلك الخطأ الجزئى فإنّ هذا السلوك ليس من العدل والإنصاف.

نعم؛ لو كان المتحدث كثير الخطأ، أو كان يتكلّم بالخطأ دون تحقيق وتحضير وعن جرأة، أو كان يُخطئ فيما لا يليق بقدره العلمى الذى وُضع نفسه موضعه فوق ما يناسب شأنه، أو كان المستمع له من أهل العلم وقد سلف له أن وجهه فى المسألة وأحكم له البرهان فكاثر؛ فهنا لا ضير فى مقاطعته بعد الإرشاد الوافى والنصح الكافى والنقد المتزن المتناسب النافع والبناء، سواء له أو احترازياً لغيره، بل يتعيّن ذلك دفعاً لغائلته ومناكيره وشجراً لباطله وقطعاً لطريق الفجور وحماية للمجتمع ودوداً عن تكاثر السواد حوله عملاً بالفرع الدئنى الأكبر المجمع عليه الكامن فى وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتلافي عن هلكات التخاذل والتهاون فى العمل بهذا الفرع الإلهى الجسيم؛ فإنه ما أعظم المرتقى الذى ارتقاه؛ قال تعالى ﴿وَلَا تُطْعَمُنْهُمْ مِنْهُم أَمْراً أَوْ كُفُوراً﴾ [الإنسان ٢٤] وقال عزّ ذكّره: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَنُصْرُ الْمَصِيرِ﴾ [التوبة ١٣]، وروى الشيخ المعظم الصدوق أعلى الله مقامه قال: حدّثنا أبى رضى الله عنه عن عبد الله بن جعفر الحميرى عن هارون بن مسلم عن مسعدة بن زياد عن جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه الباقر عليه السلام عن آبائه عليهم السلام أن علياً عليه السلام قال: «إنّ فى جهنم رَحَى تَطْحَنُ [خمساً]<sup>٤٧</sup> أفلا تسألون ما طحنها؟ فقيل له: فما طحنها يا أمير المؤمنين؟ قال: العلماء الفجرة، والفرّاء الفسقة، والجبابرة الظلمة، والوزراء الخونة، والعرفاء الكذّبة. وإنّ فى النار لمدينة يقال لها: الحصينة أفلا تسألونى ما فيها؟ فقيل: وما فيها يا أمير المؤمنين؟ فقال: فيها أيدي الناكثين»<sup>٤٨</sup>.

## الاستماع خلف الشاشة:

على مستوى التزوّد من مجالس الدّكر، هناك استفهام يَجُول فى الأذهان، مفاده: يوجد من يستمعون للمجالس فى المناسبات وعاشوراء من خلال الآلات والشاشات؛ فهل يكفى التزوّد العلمى والاستماع من خلال التلفاز والأجهزة الحديثة أم يَلَزِم الحضور المباشر؟

<sup>٤٧</sup> هكذا فى النسخة المحقّقة.

<sup>٤٨</sup> الخصال، للشيخ الصدوق: ص ٢٩٦ ح ٦٥ - وكذا ثواب الأعمال، للشيخ الصدوق: ص ٢٥٣.

والجواب عليه يَتَطَلَّبُ أولاً ملاحظة "واقع هذه المجالس" من جهة، و"واقع هؤلاء الأشخاص الجالسين خَلْفَ الأستار" من جهة أخرى، فأقول:

إن "واقع مجالس العلم" تارة نلاحظه بـ"عنوانها العام"، وأخرى بـ"عنوانها الخاص"؛ أما "عنوانها العام" فهو من قبيل الاستماع لمجالس العلم والمجالس الحسينية في أي وقت دون مناسبة دينية خاصة محدّدة الوقت؛ تماماً كالبرامج التلفزيونية العامة أو المجالس التي تسمّى "عادات أسبوعية" ... فإنّ هذه المجالس لا يلزم فيها الحضور المباشر؛ لأنها لا تتراد بالضرورة لإحداث التواجد فيها، حتى ولو كانت مجالس أرحامك وإن كانت صلة الرّحم مطلوبة، إلا أن مطلوبيتها -أعني صلة الرّحم- ليست محدّدة بحضور مجالس الأرحام تعيينياً؛ فالصلة تتحقق بأيّ مضداق عقلائي عُرفي يفى بها، ولو بالاتصال الهاتفى والسؤال والتواصل عن طريق الصوت بالتّعتي المقصود البارز ...

هذا بالنسبة لمجالس العلم بعنوانها العام، والتي يُمْكِنُ لنا أن ندخل فيها أيضاً مجالس العلّماء الاعتيادية؛ فإنّ زيارة العلماء وحضور مجالسهم الاعتيادية وإن كان أجره لا يحصى عدداً وأثراً كما سبق أن بيّنتُ وذكرتُ رواية النبي صلى الله عليه وآله مع أبي ذر الغفاري التي رواها أمير المؤمنين عليه السلام بنفسه بما فيها من المَقَامات العالية لزوّار العلّماء مما يَحَيِّرُ العقول ويَجِدُّ بالنفس على الانبعاث للجلوس في مجالسهم والاستفادة من فوائدهم وآدابهم ... إلا أنّ هذا الحضور ليس من الواجب الذي يُلزِمُ على الفرد عينيّاً بأن يحضرها؛ نعم يجب على كل فرد طلب العلم والتعلم ومعرفة ما هو في مَعْرُضِ ابتلائه من مسائل الحلال والحرام الكامنة في الإلزامات التي هي الواجبات والمحرّمات، وهذا الطّلب التّزوّدي العلمي الواجب يحصل بالدراسة في المَدْرسة الدّينية أو في المسجد أو حتى من وراء الشاشة أو بالتعليم عن بُعد أو بأيّ طريقة أخرى كفيلة بتحقيقه؛ فلا يجب طلب العلم بمسائل الحلال والحرام بطريقة معيّنة.

وأما مجالس العلم بـ"عنوانها الخاص"؛ فهي تلك المجالس التي ندبنا لها الشرع وأمرنا بها بنحو الشعائر؛ فإنّ الشعائر لا يُمْكِنُ تحقيق إحيائها الشرعي إلا بالحضور المباشر فيها، وإلا عدّ الفرد جافياً ومُوقَّضاً لِقَرَعِ الدّين الكامن مثلاً في الولاية ... ف -مثلاً- الموالاة لأهل البيت عليهم السلام تَتَطَلَّبُ إقامة الشّعائر المتعلقة بعنوانها الولائي؛ بالتالي فإنّ حضور عاشوراء وما ماثلها أمرٌ يجب تحقيقه على أرض الواقع، وهذا التحقيق يكفى فيه من العدّد ما يَكُونُ وافيّاً بالتكليف الكفائي عُرفاً لا أنه يجب على كل فرد، وإن كان مَحْتَوِثاً له بالتكليف العيني على كل فرد أيضاً بنحو الحثّ الاستحبابي المشدّد تارة كحضور عاشوراء، وتارة أخرى بنحو الحثّ الوجوبي كزيارة الإمام الحسين عليه السلام حسبما أثبتّه في مجال آخر بما هو شعيرة عينية واجبة على كل مكلف وفق صوابها التفصيلية هناك.

هذا من ناحية "واقع هذه المجالس"؛ وأما من ناحية "واقع الأشخاص"؛ فإنّ الحضور مرفوع عن جُمْلَةٍ من الأفراد؛ منهم الأطفال والنساء، حيث إنّ بقاء المرأة في البيت أَحَبُّ للشرع من خروجها؛ بالتالي هي مَعْفِيَةٌ عن تحقيق الواجب الكفائي، فهو واجب مَجْعُول على عاتق الرّجل وإن كانت المرأة مُطالَبة أيضاً بالموالاة لهم عليهم السلام مثل الرّجل، وكذا الحال بالنسبة للطفل فهو باعتبار ارتفاع التكليف عنه لم يَجِبْ عليه تحقيق المقدار الكفائي، لكن هذا لا يعنى عدم أهمية حضورهما -المرأة، والطفل- في هذه المجالس، فالكلام إنما من حيث الوجوب وعدمه حيث سيأتى التّعرُّضُ لُشأن النساء والأطفال في جزء مختص آخر إن شاء الله تعالى. وكذا الحال تماماً بالنسبة لذوى الاحتياجات الخاصة؛ فإنّ الوجوب مرتفع عنهم ..

على هذا نتج:

١- أن عدم الحضور المباشر كليّاً، يهدِم إحياء الشّعيرة، بل ويهدِم صورة الاستماع التي يَبْحَثُ عنها المتسمّع المستتر وراء الشاشة؛ سيّما أنّ هذا المستمع إنما يَسْتَمِعُ في كثير من الأحوال مُريداً للمجلس الذي قامت صورته على وجود حاضرين أمام الخطيب؛ فإذا لم يَكُنْ هنالك تحقّق فعلى أساساً لحضور مباشر فكيف يتحصّل له الاستماع وراء الشاشة لمجالس من هذا القبيل؟

٢٧

٢- أن الاكتفاء العام بعدم الحضور، يَقْضَى على وجود المجالس العامة ويتسبب من ثم بانحصارها في البرامج التلفزيونية الخالية عن صفة المجالس التي نراها حالياً بما لها من أوصاف مختصة كما ستعرف بعد قليل.

٣- أن الحضور بالمقدار الكفائي المؤدى لإحياء الشَّعْبَةِ بصورتها الوافية، لا يَمْنَع من استماع البعض من وراء الشاشة حتى لو كانوا رجالاً أصحاء مُكَلِّفِينَ ..

هذا؛ وهنالك أولويات تُراعى وتنال بفعل أهميتها حَقُّ التَّفَدُّم؛ وذلك من قبيل ما لو كان بقاء الرَّجُل في البيت والاستماع من وراء الشاشة أهم؛ كان يكون مضطراً لِحِمَاية الأسرة أو تحتاج أَسْرَتَهُ لوجوده واجتماعها حوله أو رغبته في البقاء معها يَعْلَمُهُمْ وَيَلْتَقِي بِإِثْنِهِمْ وَذُكُورِهِمْ يُحْيُونَ ذلك معاً، أو كان صاحب عملٍ ووظيفة، وكذا لو كان مثلاً في يوم عاشوراء -مع وجود القدر الوافي بأداء الواجب الكفائي في حالات وجوبه- مجبراً أو مضطراً للكون على رأس العمل، أو كان هنالك مجلسٌ تَرَى بِالْعِلْمِ يَبْتَث لا يَقُوتُ وَيَسْتَفِيد منه أَكْثَر ولا يُمكنه حضوره لِجُودِهِ مثلاً، فَمَعَ أَنَّ وسائل العصر أتاحت اليوم حِفْظ كل شيء، إلا أنه مثلاً لو لم يستمع له الآن لن يستمع فيما بعد؛ صار الأولى له استماع هذا المجلس وتقديمه على الحضور المباشر للمجلس القريب منه المتمكن من حضوره ... هذا كله في الأحوال التي بـ"عنوانها الخاص" الواجب حضورها فيجوز له التَّخَلُّف عن الحضور حال وجود الحضور الكافي لِمِثَالِ الوجوب الكفائي تماماً كما هو في غيرها مُطْلَقُ الْعِنَان وإن افتقد أَجَرَ الحضور العظيم وفوائده الفائقة على جميع الأصعدة وتَوَابَه الهائل؛ إذ الحضور ليس كالسماع من وراء الأستار والحُجُب؛ فالحضور له آثار كثيرة جداً وعظيمة فائقة مفقودة حتماً في الاستماع من وراء الشاشة وبالأجهزة؛ أذكر لك منها:

أ- أَنَّ الحضور المباشر فيه نَفَحَات إلهية خاصة تُنْتَفَح من العالم على السامع، هذه النَفَحَات يَفْهَمُهَا الحاضر والمُجَرَّب للحاليتين تماماً كطالب العلم الذي يستمع للدروس العلمية من الأشرطة والأقراص وطالب العلم الذي يتلقى مباشرة من العلماء، فذاك ليس كهذا.

ب- أَنَّ الحضور المباشر يوجِد حالة من التَّلَاقى بالمؤمنين وتَبَيُّل فوائد التلاقي بهم والأجر العظيم من ذلك.

ج- أَنَّ الحضور المباشر يوجِد التعارف الطَّيِّب، والتعارف الطَّيِّب منافعه الدنيوية والأخروية كثيرة لا يستهان بها.

د- أَنَّ الحضور المباشر يبعث على الهَيْجَان والتفاعل أكثر سواء في المَرَاثي أو الأَفْرَاح.

ف- أَنَّ الحضور المباشر يُشْجِع على التَّراصُّ والتَّأَلُّف والتَّكَاتُف، وهذا له مُعْطَيَات وآثار بالغة للداخل الاجتماعي والخارج العالمي؛ منها إعطاء طابع لِمِثَالِيَّتِهِ والاحتذاء به وعدم إمكان اختراقه.

هـ- أَنَّ الحضور المباشر علاج نفسى دافع لآثار الوحدة القاسية، وَيَخْتَزِن في النفس طاقة هائلة تكفي لِحِمَاية ووقاية النفس عن مخاطر هذه المَشَاعِر حالاً وفي الأيام القادمة.

و- أَنَّ الحضور المباشر يَجْعَلُكَ تَطْفُر بالبركات المادية المؤثرة على جسدك وَجَوَانِحِكَ؛ كبركات المشاركة في تناول طعام المؤمنين وما شابه ..

فهذه الفوائد النَّازِلَة والآثار الجَسِيمة الهائلة كما تلاحظ فائِدة غير موجودة في الاستماع بالأجهزة ومن وراء الأستار؛ فَاعْتَنِمَ أَيُّهَا السَّالِكُ اللَّيِّيب.



## • رابعها: النَّظْمُ والسَّجَايا والممارسات المعاكسة:-

وَرَدَ في وصية أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام لما ضربه ابن ملجم لعنه الله، وقد ذكَّرها أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تاريخه وأبو الفرج الأصبهاني في مقاتل الطالبين والشريف الرضي في النُّهْج، قال سلام الله عليه: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما أَوْصَى به أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ... [ثم قال للحسن والحسين عليهما السلام]: أوصيكما وجميع ولدي وأهل بيتي ومن بلغهم كتابي هذا من المؤمنين بتقوى الله ونَظْمٍ أَمْرِكُمْ ..»؛ في اللُّغة: نَظَمَ أَمْرِكُمْ تقول: نَظَمَ الأشياءَ نَظْمًا أي أَلَفَهَا وَضَمَّ بعضها إلى بعض. والأمر: الحال والشأن. والمراد: رَبَّيُوا أحوالكم وشؤونكم ونَظَّموها وَلِيَعْرِفَ كُلُّ منكم ما له وما عليه.

والإمام عليه الصلاة والسلام قال: أُوصِي من بَلَغَهُ كتابي هذا من المؤمنين، فإن كنا حقاً منهم؛ فعلينا العمل بالوصية، خصوصاً وأنَّ الإمام يقول لنا وصيته وهو غارقٌ بدمه على فراش الموت. وكذا لِيَتَنَظَّمْ أُمُورنا يَلْزَمَ مَعْرِفَةُ "ما لنا" و"ما علينا"؛ فإذا جئنا لواقعنا ونَظَرْنَا إليه بِعِناية لِنَلْحَظَ ما لنا وما علينا؛ فإنه لا بُدَّ من نَبْذِ السلوكيات الخاطئة الحاصلة، والتَّحَلِّي بالسَّجَايا والآداب الفاضلة؛ على هذا -مع الالتفات إلى أن الكلام حالياً عن خصوص عنوان المستمعين- أقول:

هنالك ممارسات سلبية كثيرة تتكرر، في موسم محرم وغيره من مناسبات أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام سيما الكبرى منها؛ كعاشوراء والأربعين ووفاة النبي في صفر وأمير المؤمنين في شهر رمضان عليهما وآلهما السلام، والمواليد، لا بُدَّ للسالك اجتنابها وللمتعلِّم التَّرفُّع عنها، سواء ما تَعَلَّقَ منها بحضور مَجالس القراءة أو مَوَاقِب العزاء أو ارتياد المَضاف، كما هنالك أيضاً آداب وسجَايا حميدة ينبغي الاهتمام بها؛ وذلك من قبيل:

التَّوَضُّع قبل الخروج للمَجْلِس، ولبس اللباس اللائق بالمؤمنين، والجُشْمَة، وتسريح الشعر بالصورة التي لا تَسْتَكْفِ بها لو كنتَ في مَجْلِس إمام الزمان وأمه الزهراء عليهما الصلاة والسلام وهما حاضران يَريَانك، وحُسن الرائحة في مَجالس الرِّثاء من غير زينة عُرْفِيَّة بخلاف المواليد فيُحْبَذُ التعطُّر والتزيُّن مع رعاية المرأة للضوابط الشرعية المتعلقة بها من هذا الجانب، والتصدُّق ولو بالقليل، والإبكار بالحضور للمجلس قدر الإمكان، وعدم التَّعَجُّل، والسَّير للمَجْلِس بِسَكِينَةٍ ووقارٍ كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله، والتَّطَوُّع حسب القُدرة ولو بأقل القليل مهما كانت وجاهتك وقُدرك الاجتماعيَّين فإنَّ الأكابر وأَجَلَّة الموالين الأعلى قَدراً وشأناً يُطَاوِنُون رؤوسهم في سبيل خدمة شعائر الله وأئمة الهدى صلوات الله وسلامه عليهم.

وكذا يَنْبَغِي وَضْع الجِذاء في مكانه المناسب المنتظم اللائق بِرَقِيٍّ مَجَالِسِهِم عليهم السلام وِرْقِيٍّ تَدْيِينِك وَسُمعة الإسلام والمسلمين، والتَّقدُّم للأمام عند الوصول للمجلس باكراً كي لا تَزَاحِم حركة القادمين بعدك، والإفساح في المَجْلِس حال ازدحامها، وعدم مزاحمة الآخرين والتضييق عليهم، واحترام كبار السن بتوقيرهم وتقديهم إلى أماكن الراحة، والكرم، بل الجود، ورحابة الصدر وانشراح الوجه المختلط بِمَشااعر الحُزن في مناسبات الحزن وطلاقة الوجه في مناسبات الفرح، وعدم إلقاء المنديل وفضَّل الطعام وأوانيه وغيرها على الأرض في الداخل أو الخارج، وعدم ترك الاستماع والاشتغال بالأحاديث الجانبية أو الأجهزة أو رُفَع الصوت فوق صوت القارئ، وعدم الإضرار بالآخرين عموماً والمستمعين خصوصاً بأي شكل من الأشكال؛ كاجتناب الضحك إلا مما يَتَقَصَّده الخطيب لذلك فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يحب للمُسلِم أن يجلس للتَّعلُّم مُنْصِتاً مُنتَبِهاً، وتَجَنَّب القَفْز على الجالسين، واجتناب تَخَطُّي الرِّقَاب للعبور للمَواقع الجانبية أو الأمامية إذا كان يَتَسبَّب بالأذى للآخرين فقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله يَمْنَع المسلمين عن تَخَطُّي الرِّقَاب لِيَتَقَدَّمُوا إلى الصفوف الأولى رغم عظمَة ثواب الصلاة فيها، وقد استثنى البعض من ذلك: الإمام والرَّجُل الصالح والرَّجُل العظيم حيث إن الناس عادةً لا يَتَأَذُون بِتَخَطُّيهِم لِرِقَابِهِم.

وعدم الأكل والشرب أثناء القراءة بصورة لا تليق، واجتناب التردد مع القارئ بالحد الذي يُقَوِّت على الحاضرين قدرة التَّلَقِّي والفهم، وكذا البُكاء والنَّحيب بصوت مرتفع مُقْطَر يَمْنَع من القدرة على الاستماع للخطيب، وعدم التدافع حين الدخول والخروج، والابتعاد عن التدخين بشتى أشكاله في المَواقِع العامة، وتجنب الأطفال الضَّوضاء والمشاعبة والحركة بين الحاضرين قدر ما أمْكَن، والابتعاد عن نشر المنشورات الدَّعائيَّة وإشغال الحضور عن الانتباه أثناء القراءة، وعدم دَب أحذية الآخرين حال



أَخَذَكَ هَذَاكَ أَثْنَاءَ الْخُرُوجِ، وَمِرَاعَاةَ الْحُرْمَاتِ بَعْدَ التَزَاحُمِ وَالتَخَالُطِ بَيْنَ النِّسَاءِ وَالرِّجَالِ حَالَ دُخُولِ الْمَجْلِسِ وَالْخُرُوجِ مِنْهُ أَوْ أَمَامَ الْمَضَائِفِ بِشَكْلِ غَيْرِ لَاقِقٍ أَوْ بِالْمَرْكَبَاتِ مِنْ خِلَالِ السَّيْرِ التَّلْفِيْقِيِّ أَوْ مِنْ خِلَالِ رَكْنَيْهَا رَكْنًا عَشَوَائِيًّا أَوْ إِيقَافَهَا أَمَامَ مَدَاخِلِ الْبُيُوتِ وَالْخِزَانَاتِ وَمَمَرَاتِ الطَّوَارِي تَجَافِيًّا لِسَدِّ السَّبِيلِ وَإِعَاقَةِ السَّيْرِ وَالْحِيلُولَةِ دُونَ قَضَاءِ النَّاسِ حَوَائِجِهِمْ، وَكَذَا افْتِرَاشِ الْمُسْتَمِيعِينَ الطَّرِيقَاتِ إِنْ كَانَ مِمَّا يَعْسُرُ مَعَهُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ خُصُوصًا بِالنِّسْبَةِ لِلنِّسَاءِ وَذَوِي الْاِحْتِيَاجَاتِ الْخَاصَّةِ، كَذَا إِنْ كَانَ يَعْسُرُ الْمَسْأَلَةُ الْأَمْنِيَّةُ، وَالْاِبْتِعَادُ عَنِ الْاِنْضِمَامِ لِلْمَوَاقِبِ السَّيَّارَةِ بِصُورَةٍ غَيْرِ مُنْتَظِمَةٍ مِنَ الْمُعَزِّينَ وَالْمُسْتَمِيعِينَ، وَالرَّفْقُ بِاخْتِيَارِ الطَّرِيقِ الْخَالِيَةِ أَوْ التَّرِيثِ إِلَى حِينَ سُلُوكِ الطَّرِيقِ وَمُنَاسَبَتِهِ لِلْمَشْيِ أَوْ الْعُبُورِ بِالْوَسَائِلِ الْآخَرَى، وَاللُّطْفُ بِالنِّسَاءِ فَمِنْهُنَّ الضَّعِيفَةُ وَمِنْهُنَّ الْحَمْلُ ... فَقَدْ وَرَدَ فِي الْخَبَرِ الْأَمْرُ بِمِرَاعَاتِهِنَّ بِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «رَوَيْدَكَ، رِفْقًا بِالْقَوَارِيرِ»<sup>٤٩</sup>؛ يَعْنِي النِّسَاءَ.

وَالْاِبْتِعَادُ عَنِ الْمَكْتِّ وَالْجُلُوسِ أَوْ الْوُقُوفِ أَمَامَ أَبْوَابِ مَنَازِلِ الْآخَرِينَ وَحُرْمَاتِ عَوْرَاتِهِمْ وَكَذَا الْاِبْتِعَادُ عَنِ الْوُقُوفِ فِي الطَّرِيقِ أَمَامَ الْمَارَةِ بِغَيْرِ حَاجَةٍ مَاسَّةٍ، وَكَفِّ الْأَذَى بِأَجْمَعِهِ، وَالتَّنَازُلُ عَنِ الْمُخْطِئِ وَالْمُسِيءِ سَيِّمًا أَصْحَابَ الْبُيُوتِ وَالْمَحَالِّ حَيْثُ يَنْبَغِي لَهُمْ الرَّفْقُ فِي تَوْجِيهِ الْمُخْطِئِينَ وَالتَّسَامُحُ لَوَجْهِ اللَّهِ وَحُبًّا لِلْمُؤَالَيْنِ وَالتَّمَتُّعُ بِمَحَبَّةٍ لِلْأُئِمَّةِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ فَلَا جِلَّ عَيْنٍ تُكْرِمُ أَلْفَ عَيْنٍ؛ إِنْ إِمَامِنَا الْحُسَيْنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَقَى أَعْدَاءَهُ الْمَاءَ -وَمِنْهُ نَتَعَلَّمُ أَوَاصِرَ الْإِيْثَارِ- .. فَمَا بَالُكَ بِالْمُؤْمِنِ؟

وَيَجِبُ احْتِرَامُ امْتِثَالَاتِ الْآخَرِينَ وَالْاِبْتِعَادُ عَنِ التَّبَاغُضِ وَالتَّمَرُّقِ عَلَى أُسَاسِ الْاِخْتِلَافَاتِ التَّقْلِيدِيَّةِ التَّكْلِفِيَّةِ، وَالتَّزَامُ ضَوَابِطِ النَّقْدِ الْمُتَقَدِّمِ ذِكْرُهَا، وَالْاِتِّنَازَامُ فِي الْمُمَارَسَاتِ الْخَاصَّةِ بِالتَّقْلِيدِ وَالتَّكْلِفِ، دُونَ تَجَاوُزِ عَلَى حَقُوقِ الْآخَرِينَ وَالتَّظُّمِ الْحَيَاتِيَّةِ الْعَامَةِ وَأَحْوَالِ النَّاسِ كِبَارِهِمْ وَصَغَارِهِمْ نِسَائِهِمْ وَرِجَالِهِمْ، وَمُبَادَلَةُ الْمُؤْمِنِينَ التَّعْزِيَةَ وَأَحَاسِيْسَ الْمَآسَاةِ وَالْفَرَحِ سَيِّمًا مَنِ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ تَنَافَرٌ فَإِنَّهَا أَجْمَلُ فُرْصَةٍ وَخَيْرُ زَكَاةٍ وَأَقْصَمُ لَظْهَرِ الشَّيْطَانِ وَأَسْعَدُ لِقَلْبِ النَّبِيِّ وَأَثْمَتْنَا وَمَوْلَانَا الْغَرِيبَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، فَقُلْ فِي مَوَاسَاتِهِمْ مَا أَثَّرَ عَنْهُمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ بِأَمْرِهِمْ لَنَا أَنْ نَقُولَ: أَعْظَمَ اللَّهُ أَجُورَنَا بِمُصَابِنَا بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَعَلْنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ الطَّالِبِينَ بَثَارِهِ مَعَ وَلِيِّهِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .. فَيَمَّا رَوَاهُ الشَّيْخُ أَبُو جَعْفَرٍ الطُّوسِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي الْمَصْبَاحِ حَوْلَ ثَوَابِ وَكَيْفِيَّةِ التَّعْزِيَةِ مِمَّنْ لَمْ يَوْفَقْ فِي عَاشُورَاءَ لَزِيَارَةِ الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ سَلَامَ اللَّهِ عَلَيْهِ مِنْ قُرْبٍ، رَوَى قُدَّسَ سِرُّهُ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْمَاعِيلَ بْنِ بَرِيعٍ عَنْ صَالِحِ بْنِ عُقْبَةَ عَنْ أَبِيهِ عَنِ الْإِمَامِ الْبَاقِرِ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ:

«.. وَلْيُعَزَّ فِيهَا بَعْضُهُمْ بِبَعْضٍ بِمُصَابِنِهِمْ بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَنَا الضَّامِنُ لَهُمْ إِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ جَمِيعَ ذَلِكَ [الثَّوَابُ الْجَزِيلُ]، قُلْتُ: جُعِلْتُ فِدَاكَ أَنْتَ الضَّامِنُ ذَلِكَ لَهُمْ وَالزَّعِيمُ؟ قَالَ: أَنَا الضَّامِنُ وَأَنَا الزَّعِيمُ لِمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ، قُلْتُ: فَكَيْفَ يُعَزَّى بَعْضُنَا بَعْضًا؟ قَالَ: تَقُولُونَ: أَعْظَمَ اللَّهُ أَجُورَنَا بِمُصَابِنَا بِالْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَعَلْنَا وَإِيَّاكُمْ مِنَ الطَّالِبِينَ بَثَارِهِ مَعَ وَلِيِّهِ الْإِمَامِ الْمَهْدِيِّ مِنْ آلِ مُحَمَّدٍ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»<sup>٥٠</sup>، وَفِي جُمْلَةٍ هَذِهِ الْأَدَابُ قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ .. يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ .. دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [المجادلة ١١]، وَقَالَ عَزَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [أَي تَوَسَّطْ بَيْنَ الْإِسْرَاعِ وَالْإِبْطَاءِ] وَاعْظُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ [لقمان ١٩].

وَقَالَ سَيِّدُ الْأَحْرَارِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ: «الْخُلُقُ الْحَسَنُ عِبَادَةٌ وَالسَّخَاءُ غِنَى»<sup>٥١</sup>، وَقَالَ فِي الْمُتَطَوِّعِينَ وَأَهْلَ الْفَضَائِلِ وَالْكَرَمِ وَالْجُودِ: «مَنْ تَعَجَّلَ لِأَخِيهِ خَيْرًا وَجَدَهُ إِذَا قَدِمَ إِلَى رَبِّهِ غَدًا»<sup>٥٢</sup>، كُلُّ هَذَا فَضْلًا عَنِ الْمُرْدُودِ الدَّنِيوِيِّ؛ حَيْثُ إِنَّ الْخَيْرَ لَا يَفَارِقُ صَاحِبَهُ فَيَعْقِبُهُ مِنَ الْخَلْقِ -بَلُطْفِ اللَّهِ وَعَجَائِبِهِ- جَمِيعُ الْأَحْدُوثَةِ فِي حَيَاتِهِ أَوْ حَيَاةِ أَحِبَائِهِ ..

وَلَكِي تَجْعَلَ لَكَ قَاعِدَةً كَبْرَى مُوجِزَةً سَهْلَةً الْحِفْظِ؛ فَفِي "الْأَدَابِ الْعَقْلِيَّةِ وَالْعُرْفِيَّةِ": قَسْ كُلِّ فَعْلٍ مِنْ غَيْرِكَ عَلَى نَفْسِكَ، فَإِذَا قَبْلَتَهُ عَلَيْهَا فَافْعَلْهُ وَإِذَا لَمْ تَقْبَلْهُ فَلَا تَفْعَلْهُ؛ هَذِهِ الْقَاعِدَةُ فِي أَغْلَبِ الْأَحْوَالِ نَافِعَةٌ وَإِنْ شَدَّتْ عَنْهَا بَعْضُ الْحَالَاتِ؛ إِذْ تَخْتَلِفُ أَعْرَافُ

<sup>٤٩</sup> أَسَدُ الْغَابَةِ، لِابْنِ الْأَثِيرِ: ج ١ ص ١٢١ - إِمْتِنَاعُ الْأَسْمَاعِ، لِلْمَقْرِيزِيِّ: ج ٩ ص ٣١٠ - وَانْظُرِ السِّيْرَةَ الْحَلِيبِيَّةَ، لِلْحَلِيبِيِّ: ج ٣ ص ٤٢١.

<sup>٥٠</sup> مُصْبَاحُ الْمُتَهَيِّجِ، لِلشَّيْخِ الطُّوسِيِّ: ص ٧٧٢.

<sup>٥١</sup> تَارِيخُ الْبَيْهَقِيِّ، لِلْبَيْهَقِيِّ: ج ٢ ص ٢٤٦.

<sup>٥٢</sup> انْظُرْ كَشْفَ الْغَمَةِ فِي مَعْرِفَةِ الْأُئِمَّةِ، لِابْنِ أَبِي الْفَتْحِ الْإِرْبَلِيِّ: ج ٢ ص ٢٣٩ - بَحَارُ الْأَنْوَارِ، لِلْعَلَامَةِ الْمَجْلِسِيِّ: ج ٧ ص ١٢٢ ر ٤.

الناس وطبائعهم وكذا مستويات الإدراك. وأما "الآداب الشرعية" التي تفاصيلها تُعرّف بالشرع؛ فهذه تُؤخذ منه؛ ومن ذلك مثلاً عدم شرب الخمر في هذه الأماكن؛ إذ لو فرضنا خمراً لا ضرر فيه -ظاهراً- على مَنْ بجوارك فلا راحة مقرّزة له ولا مُسْكِرَة فيه باعتبارك ستشرب قليلاً منه في مجلس العلم؛ فهذا المقدار قد يراه العقلاء والعرف العام -بعض النظر عن الدين- لا ضرر فيه، بينما الشرع لا يراه جائزاً، بل يحكم بحرمة ومفسدته قاتلاً في الخبر الصحيح بل المتواتر «ما أسكر كثيره فقليله حرام»<sup>٥٣</sup>؛ لذا كان لأبد في الآداب الشرعية من الرجوع إلى الشارع المقدّس والركون إلى رأيه؛ وما ذلك إلا لأن الإدراك المبدئي للعقل والفهم الظاهري للعرف قاصران عن بلوغ المبادئ والملاكات الواقعية والحكم الخافية عن حدود اطلاعهما وعلمهما. وإن شاء الله تعالى ستأتي وقفة مهمة لبيان مسائل ابتلائية شائعة في هذا الجانب الأخلاقي الضروري أتعرض لها بشكل منفرد.

### إخراج الطعام خارج محدوده:

لا تأخذ من الطعام في المجلس أكثر من حاجتك، وآثر الفقراء على نفسك إن قل، وقدمهم إن كفى، وحَبِّذا لو تأخذ الطعام من المآتم وتوصله للمحرومين مستغلاً هذه الفرصة، فإنك إن لم تكن ممن يتبرّع بإعطاء الطعام للمحتاجين من ماله الشخصي وفاتك الثواب العظيم؛ فهذه خير فرصة للتعويض بأن تعطيهم من هذا السبيل العام بإيصاله إليهم.

ولا تأخذ الطعام المخصّص للحاضرين فتصرفه إلى خارج محيطهم لغيرهم أو حتى لمنزلك؛ لأن هذا الفعل محرّم مادام وقع على خلاف ما أباحه المالك، فكيف تدخل الحرام إلى بطنك أو بطون الآخرين باسم أهل البيت عليهم السلام وأنت جئت لتتعلم علومهم وتُهدّب نفسك وتصلحها بها لتتقرب لله تعالى وتتكامل؟

وإذا أخذت مما أباح المالك إخراجهِ خارج محيط الحضور؛ فتجنّب جمع الطعام الكثير للمنزل وتكديسه بحيث يُحرّم الآخرون منه ويَتَلَفُ فإنه طمَع وتجاوزٌ لحد المشروع -الذي هو معنى السرف- والطمع شرٌّ من الشرور المهلكة والمسرفون اسم قوم نبي الله لوط عليه السلام الذين دمرهم الله تدميراً وهو سجيّة فرعون ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ لِمَنِ الْمُسْرِفِينَ﴾ [يونس ٨٣] وهو عز وجل القائل ﴿وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ﴾ [الأنبياء ٩]، ﴿وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ [غافر ٤٣]، بل إن هذا الفعل تبذير، والتبذير أشد من الإسراف؛ حيث إن الإسراف هو صرفُ الشيء فيما ينبغي زائداً على ما ينبغي؛ كأن تحتاج لباساً فتشتري ثوباً بسعر زائد عن مستواك أو مُكْتَنِكَ، أو تحتاج للأكل فتشتري طعاماً بقدر ما ستأكل ولكن بقيمة مرتفعة جداً زائدة على قدرتك، والتبذير هو صرفُ الشيء فيما لا ينبغي؛ كأن تأخذ من المآتم أو المولد فوق حاجتك فيفسد وتصرفه إلى القمامة؛ فإذا كان في الإسراف من المَبْغُوضَةِ الإلهية الشديدة والهلاك في الدنيا والنار في البرزخ والآخرة، فما بالك بالتبذير الذي هو أشد منه!

العجيب أن في نص هذه الآية، في صدرها، الخطاب موجه للرسل، مع أن الرسل لهم مَالِيَّة الكون، مَالِيَّة المخلوقات، لهم الولاية من الله تعالى، إلا أنه رغم ذلك يقول لهم ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحاً إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون ٥١]؛ فينهاهم عن الإسراف والتبذير ووضع الأمور في غير مواضعها الصحيحة الصالحة، فكيف بنا نحن؟

لا تقل: إن لم آخذ منه الكثير سيأخذ طريقه إلى التلّف والقمامة؛ فإنه حتى لو كان المقدّم كثيراً وفوق حاجة العدد الموجود وتعلم يقيناً أن ماله للتلف لا تفعل ذلك، دع الزائد يبق في تكليف المُنفِق ولا تتخذ منطفاً فاسداً كهذا فينتقل إلى تكليفك وتكن أنت المحاسب عليه والحاصد لما ينتج عنه، فقد يكون ذاك -كما سيأتي- معذوراً بينما أنت بهذا السلوك لن تُعذر؛ بالتالي لأبد من الالتفات إلى العناصر المحورية الثلاثة التالية:

<sup>٥٣</sup> انظر صحيحة الكتاني من الكافي، للشيخ الكليني: ج ٦ باب أن رسول الله صلى الله عليه وآله حرم كل مسكر ص ٤٠٩ ح ١٠ وغيرها من روايات الصحاح.

التَّعَبُّ؛ الشُّكْر؛ العبادة. وهى كُلُّها جَمَعها الله تعالى فى آيةٍ واحدةٍ مَوْجِزةٍ من سورة البقرة قال عزَّ وجل فيها ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُنتُم بِإِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة ١٧٢]؛ فأجاز لنا أولاً أَنْ نَأْكُلَ ونتنعم بالخيرات. ثانياً قال واشكروا الله؛ شكرُ الله يعنى أَنْ نَتَقَيَّدَ بِمَرْضَاتِهِ، يعنى أَنْ لا نَخَالِفَ أوامره، أَنْ لا نَفْعَلَ الأمور التى تَبْعِدُنَا عنه. ثالثاً إِنْ كُنْتُمْ بِإِيَّاهُ تَعْبُدُونَ، وما بَعْدَ عبادة الله إلا عبادة صَنَمِ الهوى والشيطان، فإذا تَجَاوَزْتَ عبادة الله فَإِنَّكَ لا مَحَالَةَ هَالِكٌ؛ لذا أَهْلَكَ سَبْحَانَهُ الْمُسْرِفِينَ وجعلهم من أهل النار.

### الأكل والتعلم من الحرام وتخوين الفضائل:

ولا تَأْكُلْ مِنْ إِطْعَامِ مَنْ تَعْلَمُ بِاخْتِلَاطِ مَالِهِ بِالْحَرَامِ وَمَنْ تَعْلَمُ بِأَنَّهُ لا يُخْرِجُ حَقَّ اللَّهِ مِنْهُ وَلا يُزَكِّيهِ الزُّكُوتَ الْوَاجِبَةَ؛ فَإِنْ أَكَلْتَ مِنْهُ انْقَلَبَ عَلَيْكَ بِالذَّاءِ وَالْأَدْوَاءِ وَكُنْتَ شَرِيكَهُ فِي أَكْلِ الْمَالِ بِالْبَاطِلِ. ونفس الحال بالنسبة للحضور إلى استماع مجلسٍ صاحبه أقامه بمالٍ مختلط بالشبهات أو الحُرُمَاتِ وَأَنْتِ تَدْرِي بِذَلِكَ؛ فَإِنَّ الْجُلُوسَ فِيهِ اسْتِعْمَالٌ لِلْمَغْصُوبِ وَلا ثَمَرَةَ تُرْجَى مِنْهُ وَلا حَتَّى فِي الْبُكَاءِ عَلَى الْإِمَامِ الْحُسَيْنِ وَالنَّبِيِّ وَالْأَئِمَّةِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عِنْدَهُ، فَإِنَّ الْحَجَّ وَالصَّلَاةَ وَهُمَا مِنْ أَكْبَارِ فُرُوعِ الدِّينِ، إِذَا كَانَا لا يُقْبَلَانِ بِالثُّوبِ الْمَغْصُوبِ وَلا تُقْبَلُ الصَّلَاةُ فِي الْمَكَانِ الْمَغْصُوبِ فَمَا بَالُكَ بِالتَّعَلُّمِ أَوْ الْبُكَاءِ عَلَى النَّبِيِّ وَالْأَئِمَّةِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي مِثْلِ هَذَا حَالٍ؟

وَإِذَا حَضَرْتَ مَجْلِسَ الْغِنَى؛ فَلا تَكُنْ شَكَاكاً تَهَاماً وَشَايَاً بَغِيرَ حَقٍّ، لا تُشَكِّكَ فِي نَقَاءِ عَمَلِهِ وَصِدْقِ نِيَّتِهِ بِلا مَبْرَرٍ مُشْرُوعٍ، وَلا تَتَّبِعْ عَوْرَتَهُ وَتَتَكَشَّفْ نَوَاقِصَهُ وَخَطَايَاهُ، وَلا تُشَكِّكَ فِي طَهَارَةِ مَكْسَبِهِ وَمَالِهِ؛ فَإِنَّ هَذَا فَعْلُ الْحُسُودِ، وَالْحُسُودَ بَعِيدٌ عَنْ سَاحَةِ اللَّهِ مَبْغُوضٌ عِنْدَهُ أَشَدَّ الْبُغْضِ، بَلِ الْحُسُودُ -كَمَا نَصَّتِ الْأَخْبَارُ الْمُسْتَفِيضَةُ بِـلِ الْمُتَوَاتِرَةِ- كَافِرٌ بِأَنْعَمِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهُ مَتَمَرِّدٌ عَلَى تَقْدِيرِهِ، اللَّهُ قَدَّرَ لِفُلَانٍ الثَّرَاءَ وَالْغِنَى؛ فَعَلَّامٌ تَتَنَكَّصُ لَهُ كَارِهاً لِمَا قَسَمَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ!

### ولا بأس هنا أَنْ أَذْكَرَ فِي هَذَا الْمِضْمَارِ هَذِهِ الْحَادِثَةَ لِمَا لَهَا مِنْ مَوَاعِظٍ ضَرُورِيَّةٍ:

كُنَّا فِي عَرَفَةَ، وَالْمَوْسِمِ مَوْسِمِ الْحَجِّ الْمَعْظَمِ، مَوْسِمِ الطُّقُوسِ وَالْخُلُوصِ، وَفِي عَزِّ يَوْمِ عَرَفَاتِ الَّذِي هُوَ لُبُّ الْحَجِّ وَعِنَانُ الْحَاجِّ لِقَوْلِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ «الْحَجَّ عَرَفَاتٌ»<sup>٥٤</sup>، فَفِيهِ مَحْوُ الذُّنُوبِ وَيَخْرُجُ الْإِنْسَانُ مِنَ الْخَطَايَا كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ.

كَانَ الْمَوْسِمُ مُلْتَهَباً شَدِيدَ الْحَرِّ، وَلِبَعْضِ الظُّرُوفِ الْقَاسِيَةِ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَاءٌ وَلا غِذَاءٌ، وَفَجْأَةً فُتِحَتْ مَرَكِبَاتُ شَحْنِ ضَخْمَةٍ مُمَثَّلَةٌ بِالطَّعَامِ، أَصْحَابُهَا جَمْعٌ مِنَ التُّجَّارِ الْمُتَمَكِّنِينَ، تَبَرَّعُوا بِهَا لِلْحَجَّاجِ، وَكَانَتْ لِكَثْرَتِهَا مُصْطَفًى بِطُولِ عَرَفَاتٍ تَقْرِيْباً، فَأَخَذَتْ تَوَزَّعَ الْأَكْلِ وَالْعَصَائِرِ الْبَارِدَةِ وَالْمَاءِ عَلَى الْجَمِيعِ حَتَّى أَغْنَتْ الْقَوَافِلَ وَكُلَّ مَنْ حَضَرَ الْمَوْسِمَ، بَلْ وَكَانَ الْفَرْدُ يَأْخُذُ بِدَلِ الْوَجِيهِ اثْنَتَيْنِ وَثَلَاثَ وَأَرْبَعٍ دُونَ أَى عَتَابٍ، وَيَأْخُذُ لَهُ وَلِأَهْلِهِ، وَلَهُ وَلِرَفَاقِهِ ... وَكَلِّمًا نَفْذَ مَا أَخَذَهُ ذَهَبٌ وَتَرَوَّدَ مُجَدِّداً مِنْ تِلْكَ الْمَرَكِبَاتِ بِالْمَجَّانِ دُونَ أَى مُقَابِلٍ، وَبِتَمْوِيلٍ سَرِيعٍ جَدًّا لا عَنَاءَ فِيهِ عَلَيْهِ وَلا تَعَبٍ. الْمَنْظَرُ حَقِيقَةً يُثْلِجُ الصَّدْرَ، وَالشَّعَائِرُ شَعَائِرَ اللَّهِ، وَالتَّبَرُّعُ فِيهَا بِهَذَا السَّخَاءِ لا يُوَصَّفُ.

قَلْتُ جَزَاهُمْ اللَّهُ خَيْراً وَكَثُرَ أَمْثَالُهُمْ، لَوْ لَمْ يَفِيضُوا عَلَى النَّاسِ بِهَذَا الْخَيْرِ لَهَلَكْنَا وَإِيَاهُمْ، لَكِنْ مَا يَشِينُ لَذَّةَ هَذَا الشُّعُورِ الْجَلِيلِ، أَنْ كَانَ رَأَى أَحَدَ الْحَجَّاجِ الْجَالِسِينَ بِجَانِبِي غَفَرَ اللَّهُ لَنَا وَلَهُ قَائِلاً: لا جَزَاهُمْ اللَّهُ خَيْراً؛ إِنْ أَمْوَالُهُمْ لا بَرَكَةَ فِيهَا. قُلْتُ: وَلِمَاذَا؟ هَلْ تَعْرِفُ هَؤُلَاءِ الْمُتَبَرِّعِينَ؟ قَالَ: لا أَعْرِفُهُمْ، وَمَعْرِفَتُهُمْ لَيْسَتْ خَافِيَةً عَلَى أَحَدٍ؛ فَإِنَّهُمْ لَوْ كَانُوا يَزُكُّونَ أَمْوَالَهُمْ لَمَا بَطَرُوا وَامْتَلَكُوا كُلَّ هَذِهِ

<sup>٥٤</sup> سنن الترمذي، للترمذي: ج ٤ ص ٢٨٢ ر ٤٠٥٨ وصفه: حديث حسن صحيح - صحيح ابن جبان، لابن حبان: ج ٩ إباحة المبيت بمكة ليالي منى - طبعة ٢٠٣.



الأموال الطائلة. قلتُ: إذا كنتَ لا تعرفهم فكيف قَطَعْتَ بما تقول؟ قال: هؤلاء لا يَسْتَحِقُّونَ الدَّعاءَ لهم بخير؛ فالفقر المنتشر بسبب حَزَنِهِمُ أموالهم عن المحتاجين، ومَرَكَبَاتِهِمُ هذه التي تراها ليست إلا للتفاخر بينهم والرياء وربما جَبَرًا عليهم أو تمريراً لِمَا فِي مَخَازِنِهِمُ مما شازف على الانتهاء والخراب. قلت بعد النظر لتاريخ الإنتاج: سبحان الله! هذا تاريخها حديث الصُّنْعِ إذا تَطَّلَعَ عليه، هل تَقْبَلُ أن يقول شخصٌ فقيراً وأنتَ أَفْضَلُ حالاً منه هذا الكلام في حقك؟ قال:

ربما التاريخ مُزَوَّرٌ، والحمد لله أنا لم أكل مالاً حراماً وأزكى أموالى أولاً بأول. قلت: مادمتَ يا أخى غير متيقِّنٍ مِنَ التَّزْوِيرِ فلا يحقُّ لنا هذا الحُكْمَ، وهل تزكية المال أقل أهمية من تزكية العقل والقلب واللسان؟ ثم ما يدرينا أن أموالك ومكاسبك لا حرام فيها وما يدرينا أنك تزكيها أولاً بأول! فنحن أيضاً لا نَعْرِفُكَ كما لا نَعْرِفُهُمُ، وأنتَ لا تَعْرِفُنِي فلربما كان المتبرع أبى أو جارى أو أحد الصُّلَحَاءِ الذين نَعْرِفُهُمُ أو ربما كان أحد أقاربك، وربما كان المتبرع أخذ الإجازة بدفع جزء من ماله في هذا الشأن كجزء مما عليه من الزكاة والحق الشرعى؛ فهو إذاً يَزَكِي ما جعله الله في يده، وأيضاً أنت الآن أَكَلْتَ من مال هذا المتبرع، ورأيتك جَلَبْتَ لك مِن تَبَرُّعِهِ أكثر من مرة، هل شجعتهم على فعل الحرام والرياء وأكلتَ من أموالهم المختلطة بركة الحق الشرعى المغتصب؟ وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان؟ فما نَعُفُ هذا الكلام إلا أنه يتسبب بانحسار التقديم وغياب التكافل وحمل العاملين المتبرعين على ترك العطاء، لو كان الرجل كما تقول يريد الرياء لكان على الأقل كتب اسمه على هذه المَرَكَبَاتِ المتعاطمة، ألا تراه كُتِبَ عليها فاعل خير؟ هل تجد عليها تسمية لأحد أو حتى كلمة نسألكم الدعاء لى أنا فلان ولو بنية الدعاء عن صدق نية؟ قال:

لا يستطيع كتابة ذلك حتى لا يشكك الآخرين في نواياه الباطلة. قلت: إذا أنت وشأنك، إننا في يقاع الله المقدسة وفي يوم عظيم وجئنا لتطهير قلوبنا وعقولنا ونفوسنا ونزجُم الشيطانين؛ الشيطان الأكبر الكامن في الهوى، وإبليس الحَنَاسِ وأهله، ونحن في هذا اليوم العظيم والمكان الشريف داعون لهؤلاء المتبرعين بزيادة الخير الوفير وأن يَمُنَّ على المؤمنين بما من عليهم به وأن يهدينا وإياهم إن كان لهم جَريرة فيغفرها لهم ببركة ما قَدَّمُوا، ورفقَ الله يا أخى قلبك على إخوانك المسلمين، فهم أعطوا لضيوف البيت ونحن أسفاً لم نَقْدِّمُ شيئاً ولا حتى أقل القليل. وأنت أيها المستمع العزيز، المستمع لمجالس الذكر والعلم، احذر أن تقع في مثل هذه الأفكار تجاه المؤمنين أو غيرهم؛ فإنَّ الذى يبذل ماله في سبيل إحياء شعائر الدين حبيبُ الله، والله تعالى غيور على أحبته لا يساوم في نُصْرَتِهِمْ ولا يَتَخَلَّى عن الأخذ بحَقِّهِمْ، وإنه عز وجل ﴿لَا يُحِبُّ كُلُّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ [المقام ١٨]؛ فأعْرِفِ المِنَّ ولا تَكْفُرْ بالعطاء واشكر وكُن فرداً مشجعاً لا مُثَبِّطاً وإلا هَلَكَ الخَيْرُ واندَثَرَ.

### ● خامسها: تطبيق المعلوم:-

استمعت؟ تعلّمت؟ هيّا اعمل؛ فالعلم بلا عَمَلٍ كبيتٍ وُضِعَ السُّراج على ظاهره؛ فهو مُنِيرُ الظاهر مُظْلِمُ الباطن. إنَّ أكبرَ مشاكلنا أيها العزيز ليس الجهل، وإنما عدم العمل بالعلم؛ فكل إنسانٍ له حَظٌّ من العلم مخزونٌ في عقله يُمَيِّزُ به بَيْنَ الحَسَنِ والقبيح، هذا المقدار من العلم المخزون في عقله يكفى لأن يكون مُصَوِّباً عملياً عامّاً وَحُجَّةً على كل فردٍ مُدْرِك. يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«فإنما البَصِيرُ مَنْ سَمِعَ فَتَفَكَّرَ وَنَظَرَ فَأَبْصَرَ وَانْتَفَعَ بِالْعِبَرِ، ثُمَّ سَلَكَ جَدَدًا وَاضِحًا يَتَجَنَّبُ فِيهِ الصَّرْعَةَ فِي الْمَهَاوِي وَالضَّلَالِ فِي الْمَغَاوِي، وَلَا يُعِينُ عَلَى نَفْسِهِ الْغَوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ»<sup>٥٠</sup>. ولكي يجعل المستمع قاعدة تطبيقية مُيسرة لنفسه لتطبيق العلم يحفظها بسهولة ويستفيد من ثمراتها العظيمة؛ يَتَّبِعُ السلوك العملى التالى:

عندما تجلس في مجلس العلم للاستماع إلى موعظة الخطيب قس على ذاتك ما يقول، لا يذهب ذهنك لقياس ذلك على غيرك، أنت عليك أن تقيس الكلام أولاً على نفسك، عليك أن تتدبر فيه، هل ينطبق عليك؟ إذا قال مثلاً (هنالك من يُعِينُ الظُّلْمَةَ أو هنالك



من يتسبب بالفتن ويغدي روح التمرق، وهؤلاء ليسوا على جادة الصواب، وعليهم مراجعة أنفسهم وتغيير مسار أفعالهم ليكونوا فعالين في المجتمع بما يصلح النظام والحياة الآخرة؛ فلا تقل في نفسك: هاه، كلامه صحيح، الجماعة الفلانية أو الشخص الفلاني ينطبق عليهما هذا الكلام تماماً، إنها إذاً حقاً جماعة مفسدة ..

فأنت بهذا السلوك من التفكير تكون قد خدعت وأعنت الغواية على نفسك؛ لأنك تركت النظر إليها أولاً وذهب ذهنك إلى الآخرين متعسفاً في حالهم متهاوناً في حالك، بينما الصحيح هو أن تطبق الكلام عليك أولاً فتتساءل: هل هذا الكلام يصدق علي؟ هل أنا من هذا النموذج السلبي الخاطي الذي نقر طبعي منه أو الذي يتعارض مع الاستقامة والصلاح؟ اذهب مباشرة لذاتك أولاً، فس عليها، ولا تتهرّب أو تخف من تصارجك معها ولا تحرف لها واقعها، استغل التفاتك فإن التوفيق للالتفات للنفس ظفر عظيم جداً، فحاسبها قبل أن تتكس في قلبك وعقلك ظلم الخطايا والانحراف فلا توفق فيما بعد للالتفات والتبصر وتحرّم حتى من نعمة حضور مجالس العلم بعد أن اختارك الله من بين ملايين الخلق لحضورها والتعلم، حاسب نفسك كي تنجو «فلا اعتبار يقود إلى الرشاد<sup>٥٦</sup>، من اعتبر حذر<sup>٥٧</sup>، اعتبر تزجر<sup>٥٨</sup>، الاعتبار يثمر العزيمة<sup>٥٩</sup>»، هكذا تسيّر نحو الكمال.

### ● سادسها: النشر وعدم التوقف عند حد التطبيق الشخصي:-

استمعت؟ تعلّمت؟ عمّلت؟ هيّا زكّ علمك ف﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّى﴾ [الأعلى ١٤]، و«زكاة العلم إنفاقه»، الإنفاق العمل قبل القول؛ هذا الإنفاق أمانة تتطلب الوفاء والصلة بها لمن يحتاجها، قال سيد الأحرار عليه الصلاة والسلام: «الوفاء مروءة، والصلة نعمة»<sup>٦٠</sup>.

واعلم أنك، لتزكية العلم، لا يجب أن تكون خطيباً أو إمام مسجد أو مرتدياً لباس رجل الدين أو طالب علم مختص ..؛ فكل من حيث موقعه يعمل دون تجاوز بإفراط أو تفريط؛ فإن الإفراط والتفريط رصعا من ثدي واحد، فكما أن التفريط باطل كذلك الإفراط باطل فاحذرهما. علم أولادك، علم زملاءك، علم أصحابك في مجلسك ومجالسهم، وعلى صفحاتك الاجتماعية، فوسائل التواصل بحمد الله باتت متاحة للجميع ولا تتطلب منك غير استثمارها بشكل صحي نافع، وإذا كنت مثلاً صاحب صرح كصحيفة معرفية أو قناة خبرية .. فلا تبخل بها، ساهم بالعمل والتعليم والنشر وإن لم تكن صاحب قلم، استغل إمكاناتك فإنها فرصة ثمينة من الله لك لحصد التوفيقات الدنيوية والزاد الخالد؛ إنك بعد الرحيل عمّن حولك ومغادرة هذا العالم الفاني ستكون في جُب النسيان ككل من رحل من الماضين وسيوافيك يوم تلّهت فيه وراء الحسنة الواحد تتمنى لو حصّتها وتناشّف على تفويتك لها؛ فلا تجعل التعليم والدين آخر همك وتجارتك فإنهما خير صدقة لما بعد الموت، ولا تساوى أهل العلم بمن هم أدنى منهم ﴿أَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ﴾ [البقرة ٦١] قال تباركك أسماؤه:

﴿الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [الحج ٤١]، وقال مولانا الإمام الحسين صلوات الله وسلامه عليه: «إن حوائج الناس إليكم من نعم الله عليكم، فلا تمّلوا من تلك النعم فتعود عليكم نقماً»<sup>٦١</sup>، «.. فلا تمّلوا

<sup>٥٦</sup> انظر الكافي، للشيخ الكليني: ج ٨ ص ٢٢.

<sup>٥٧</sup> غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٢.

<sup>٥٨</sup> غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٢.

<sup>٥٩</sup> غرر الحكم ودرر الكلم: ص ٤٧٢.

<sup>٦٠</sup> انظر ميزان الحكمة، للريشهري: ج ٤ المروءة ص ٢٨٧٩.

شرح إحقاق الحق، للسيد المرعشي: ج ١١ من كلامه عليه السلام ص ٥٩١.

النَّعْمَ فَتَتَحَوَّلُ إِلَى غَيْرِكُمْ»<sup>٦٢</sup>، وفي خبرٍ عظيمٍ عن إمامنا جعفرٍ الصادق عليه السلام -وَكُلُّ أَخْبَارِهِمْ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَظِيمَةٌ- قال:

«قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَنْ عَرَفَ اللَّهَ وَعَظَّمَهُ مَنَعَ فَاهُ مِنَ الْكَلَامِ وَبَطَّنَهُ مِنَ الطَّعَامِ وَعَنَى نَفْسَهُ بِالصَّيَامِ وَالْقِيَامِ. قَالُوا: يَا أَبَانَا وَأُمَّهَاتِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ هَؤُلَاءِ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ؟ قَالَ: إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ سَكَنُوا وَكَانَ سَكُونُهُمْ ذِكْرًا، وَنَظَرُوا وَكَانَ نَظَرُهُمْ عِبْرَةً، وَنَطَقُوا فَكَانَ نُطْقُهُمْ حِكْمَةً، وَمَشَوْا وَكَانَ مَشْيُهُمْ بَيْنَ النَّاسِ بَرَكََةً، وَلَوْ لَا الْأَجَالُ الَّتِي كُتِبَتْ عَلَيْهِمْ لَمْ تَقَرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ خَوْفًا مِنَ الْعَذَابِ وَشَوْقًا إِلَى الثَّوَابِ»<sup>٦٣</sup>.

أيها العزيز، أحكى لك سرّاً عظيماً فاسمع؛ هنالك كثيرٌ من الذين تَعَبُوا وَسَهَرُوا فِي تَحْصِيلِ الْعُلُومِ الْعَالِيَةِ وَالْغَزِيرَةِ، ثُمَّ نَسُوا عُلُومَهُمْ، لَا شَيْءَ سِوَى أَنَّهَا بَقِيَتْ فِي بَوَاطِنِهِمْ وَأَجُوفَتِهِمْ، لَمْ يُنْفِقُوهَا؛ هَذَا السَّرُّ سِرٌّ عَظِيمٌ. بَيْنَمَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهِ فِي الْعَكْسِ يَقُولُ: «الْعِلْمُ يَزُكُّ عَلَى الْإِنْفَاقِ»<sup>٦٤</sup>؛ أَيُ كَلِمَا أَنْفَقْتَهُ زَادَ وَتَوَالَّدَ وَتَعَاطَفَ وَتَجَدَّرَ فِي النَّفْسِ.

### خَطَرُ خَفَى:

وَاحْذَرِ كُلَّ الْحَذَرِ، أَنْ تَكُونَ مُبْلَغًا لِلْعِلْمِ، فَتَرَى آخَرَ يَعْمَلُ فِي نَفْسِ الْهَدَفِ أَكْثَرَ مَجْهُودًا مِنْكَ؛ فَيَصِيبُكَ مَا يَصِيبُ الْكَثِيرِينَ مِنَ الدَّاءِ الْخَفِيِّ، هَذَا الدَّاءُ الْخَفِيُّ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَدْمُرَ كُلَّ مَصِيرِكَ وَأَتْعَابِكَ الْكَبِيرَةِ وَالْكَثِيرَةِ، فَعَاجِلُهُ بِالتَّدْمِيرِ كُلَّمَا انْشَعَبَ فِي قَلْبِكَ قَبْلَ أَنْ يَمَحَقَ اللَّهُ أَعْمَالَكَ بِفَعْلِ هَذَا السُّلُوكِ الْفَاسِدِ، خَاطِبِ نَفْسَكَ -حَتَّى لَوْ قَرَضْنَا أَنْ هَذَا الْمُبْلَغُ لَمْ يَكُنْ أَكْثَرَ تَفَوُّقًا مِنْكَ مِنْ حَيْثُ الْمَعْلُومُ- قُلْ لَهَا:

هَذَا الْإِنْسَانُ الْعَامِلُ هَدَفُهُ نَفْسُ الْهَدَفِ الَّذِي أَسْمُو إِلَيْهِ، فَهُوَ مُسَاعِدٌ مَهْمٌ لِي عَلَى تَحْقِيقِ هَدَفِي الْمُنْشُودِ، فَلِمَاذَا أَفْعَلُ مَا يَتَعَارَضُ مَعَ هَذَا الْهَدَفِ إِنْ كَانَ حَقًّا هَدَفِي تَعْلِيمِ الْآخَرِينَ وَنَيْتِي فِي التَّعْلِيمِ نَقِيَّةٌ مِنَ الشَّوَابِ؟ لِمَاذَا حَسَدْتُ وَكَرِهْتُ هَذَا الْمُؤْمِنَ لِسَبَبِ أَنَّهُ يَعْمَلُ أَوْ أَكْثَرَ عَمَلًا مِنِّي! الْجَدِيرُ بِي أَنْ أَفْرَحَ لَا أَنْ يَحْصَلَ لِي هَذَا الشَّعُورُ الْبَائِسُ وَيَصْدُرَ مِنِّي هَذَا السُّلُوكُ الْمَحَارِبُ لِلَّهِ وَدِينِهِ وَعُمَلِهِ.

وَقَدْ يَكُونُ أَشَدُّ مِنْ هَذَا السُّلُوكِ مُصِيبَةٌ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ خَامِلًا، فَإِذَا رَأَى غَيْرَهُ يُقَدِّمُ حَارِبَهُ وَقَذَفَهُ بِالثُّهْمِ الْعِلْمِيَّةِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ أَهْلًا لِلْعِلْمِ فَلَمْ يَتِمَكَّنْ مِنْ قَذْفِهِ بِالثُّهْمِ الْعِلْمِيَّةِ قَذَفَهُ بِالثُّهْمِ الْأَخْلَاقِيَّةِ كَأَنْ يَنْسِبَ نَشَاطَهُ لِلْغُرُورِ وَمَا شَاكِلَ...؛ فَلَا هُوَ يَعْمَلُ وَيُوَاجِهُ الْمَسْئُولِيَّةَ وَلَا هُوَ إِذَا رَأَى غَيْرَهُ يَعْمَلُ تَرْكُهُ يَسْتَرْسِلُ فِي عَطَائِهِ وَنَشْرِ الْخَيْرِ!

### • خَتَامًا:

اجْعَلِ مِنَ الْإِسْتِمَاعِ لِمَجَالِسِ الذِّكْرِ وَمِنْ كُلِّ عَاشِرَاءِ بَدَايَةِ التَّحَوُّلِ، فِي كُلِّ مَرَّةٍ اجْعَلْهُ بَدَايَةَ لِلتَّحَوُّلِ، لَكِنْ كَيْفَ تَجْعَلُهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ بَدَايَةً؟

اعْلَمْ أَنَّ السَّيْرَ نَحْوَ الْكَمَالِ دَرَجَاتٌ، فَأَنْتَ إِذَا جَعَلْتَ كُلَّ مَرَّةٍ بَدَايَةَ لِلتَّرَاقُّمِ، تُرَاكِمُ مِنْ خِلَالِهَا الْآتِي عَلَى مَا حَقَّقْتَهُ فِي الْمَرَّةِ السَّابِقَةِ أَوْ فِي الْمَوْسَمِ الْعَاشِرِ السَّابِقِ فَتَسْتَصِلُ فِي نَهَايَةِ الْمَطَافِ لِلْكَمَالِ حَقًّا. فَهَذَا هُوَ الَّذِي يَرِيدُهُ لَنَا الدِّينَ وَهَذَا هُوَ فِلَسَفَةُ وَجُودِنَا وَسَيْرِنَا وَالْعَرَضُ مِنْ أَنْوَاجِنَا هُنَا.

<sup>٦٢</sup> بحار الأنوار، للعلامة المجلسي: ج ٧٥ ص ١٢٧ ر ١١١.

<sup>٦٣</sup> مشكاة الأنوار في غرر الأخبار، للمرحوم الطبرسي: ص ٦١.

<sup>٦٤</sup> معراج نهج البلاغة، لعلي بن زيد البيهقي المتوفى ٥٦٥ هـ: حكمة ٧٢ ص ٤٣١ ر ٢٠٧٠.

أسأل الله تعالى لي ولك المغفرة والثبات على الولاية العظمى، وأن يتقبل من عبده هذا المذنب قليل عمله وأن يفك به أسرى  
عن البعد ورقبتي من النار على أمل اللقاء مع الجزء الثاني في موضوع آخر بموسم عاشورائي قادم.

أمين السعيدى  
قم المقدسة محرم الحرام ١٤٣٩هـ

\* \* \*

## الجزء الثاني: توصيات لأصحاب المآتم..

تنسيق وترتيب مؤسسة أولي العزم (ع) العلمية

[www.anbyaa.com](http://www.anbyaa.com)

2018 – 1440